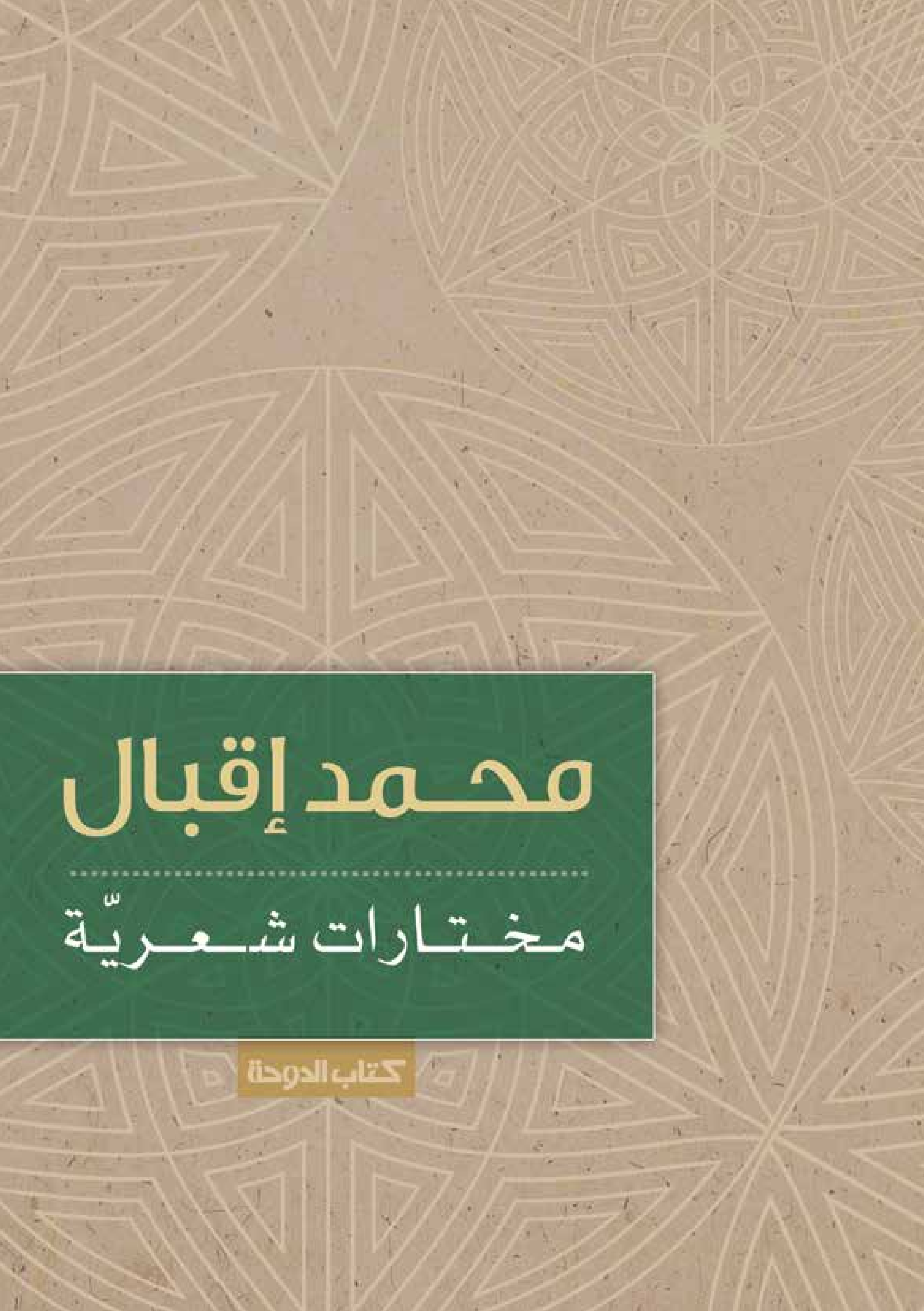


محمد إقبال
مختارات شعريّة
كتاب الدوحة

محمد إقبال

مختارات شعريّة

صاغها بالعربية شعراً :

- الشيخ صاوي شعلان المصري
- الدكتور عبدالوهاب عزّام
- الأستاذ زهير ظاظا

مقدمة:أ. د.بومدين بوزيد

كتاب الدوحة 38

يوزع مجاناً مع العدد 81 من مجلة الدوحة يوليو 2014

محمد إقبال

مختارات شعرية

مطابقة القصائد:
ديوان محمد إقبال / الجزء الأول
دار ابن كثير

مقدمة:أ. د.بومدين بوزيد

الناشر :
وزارة الثقافة والفنون والتراث - دولة قطر
رقم الإيداع بدار الكتب القطرية :
الترقيم الدولي (ردمك) :

رسوم: إسماعيل عزام - العراق
الإخراج الفني : علاء الألفي - مجلة الدوحة

الفهرس

مقدّمة

من الشرق إلى الغرب بحثاً عن الشرق

أ. د.بومدين بوزيد

من أكثر الأقوال تداولاً حول فيلسوف الشّرق محمد إقبال عبارة وصفيّة لحسن الزيات: «نبت جسمه في رياض كشمير، وانبثقت روحه من ضياء مكّة، وتألّف غناؤه من ألحان شيراز، لسان لدين الله في العجم يفسّر القرآن بالحكمة، ويصوّر الإيمان بالشعر، ويدعو إلى حضارة شرقية قوامها الله والروح، وينفِر من حضارة غربية تقدّس الإنسان والمادّة».

وُلِد الشاعر الفيلسوف في مدينة سيالكوت بولاية البنجاب سنة 1877، أسلم جدّه الأعلى قبل مئتي سنة، وقد غلب على أهل بيته سِمة التصوُّف، بداية تعلُّمه في مدرسة إنجليزية، وارتبط علمياً وروحياً بأستاذه الأوّل السيد مير حسن الذي تذوّق بفضله سحر اللغة الفارسية، سافر إلى لاهور، وتحصّل على شهادة الليسانس في الفلسفة، وفي هذه المرحلة بدأ ينظم قصائده الشعرية الأولى منها «جبل هماله» ثم عُيِّنَ أستاذاً في لاهور، ثم سافر إلى لندن سنة 1905، حيث التحق بجامعة كامبريدج، وتحصّل على الشهادة العليا في الفلسفة وعلم الاقتصاد، بقي هناك ثلاث سنوات يُلقي المحاضرات في موضوعات إسلامية أكسبته شهرة، ثم سافر إلى ألمانيا، وتحصَّل من ميونيخ على شهادة في الفلسفة أيضاً، وعاد إلى لندن وتحصّل على شهادة في الحقوق، ثم رجع إلى الهند سنة 1908.

عايش شاعرنا الفيلسوف أحداث العالم وانفجاراته وأزماته، ولاحظ الأزمة الغربية التي تنتهي إلى حروب وإذلال للشعوب الضعيفة، فترقّى عنده الشعور بالذات الإنسانية وضرورة انتصارها على الشاعر، وكان الإسلام في مجده الأول الأنموذج الذي يحنّ إليه من أجل «مسلم قويّ» وقد عَبَّرَ عن ذلك بصور جمالية ووجدانية في أشعاره: «خضر الطريق»، «هديّة الرسول»، «الشاعر والتجوُّل في الصحراء»، «جرس القافلة»، كما نشر عدّة كتب بالفارسية، وقد اعتنى الغرب والعالم الإسلامي بكتاباته الفكرية والأدبية، كما كان لرحلاته التأثير القوّي على تفكيره، إذ سمحت له بنشر دعوته وأفكاره.

كانت حياته حافلةً بشوق الذات نحو السّماء وأماكن الرسالات النبوية، ورنّ أجراس المحبّة والإرادة من أجل إعادة انتشار الرّوح المُحَمّدية في الوجود، وقد قال في آخر حياته: «أنا مسلم، ومن شأن المسلم أن يستقبل الموت مبتسماً» فكان موته في 21 إبريل/نيسان 1938.

من العوامل الفكرية والحضارية التي أثّرت في تكوينه:

1 – النهل من تراث العائلة الصوفية، ومن الحكمة الإسلامية التي تلوّنت بتراث الهند والفرس، وهو تراث يمتدّ إلى جلال الدين الرومي والجامي.

2 – اطّلاعه على الفلسفات الغربية في شقّها النقدي للغرب المادي وأزماته، وقد استفاد من فلسفة الذاتية التي كان هنري برغسون أكبر ممثِّليها،كما كان لاطّلاعه على الشعر الإنجليزي والشعر الألماني تأثير على رؤيته الفنية والفكرية.

-3 قراءته للقرآن الكريم بإعادة تأمُّل داخلي روحاني لا يقف عند اختلافات المفسِّرين اللفظية أو الكلامية، ولكنه تشبُّع بالجوهر، يقول

عن ذلك : «كنت تعوَّدت أن أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح كلّ يوم، وكان أبي يراني، فيسألني: ماذا تصنع؟ فأجيبه: أقرأ القرآن. وظلّ على ذلك ثلاث سنوات متتاليات يسألني سؤاله فأجيبه جوابي، وذات يوم قلت له: ما بالك- أبي- تسألني السؤال نفسه؟ فأجاب أبوه: إنما أردت أن أقول لك يا ولدي: اقرأ القرآن كأنما نزل عليك. ومنذ ذلك الوقت بدأت أتفهَّم القرآن، وأُقبل عليه، فكان من أنواره ما اقتبست، ومن درره ما نظمت»،

من دواوينه التي تركها:

صلصلة الجَرْس «بانك درا» 1924

جناح جبريل «بال جبريل» 1936

أسرار الذات «أسرار خودي» 1915

ـ رموز في نفي الذات «رموز بيخودي» 1918

ـ رسالة المشرق «بيام مشرق» 1923

ويقسّم بعض الدارسين شعره إلى مراحل:

- منذ بداية صقله للشعر إلى 1905: يمتاز فيها شعره بسعة الخيال وابتكار المعاني، وفيها روح الحُبّ ونشدان الجمال والترحيب بالعشق.

- مرحلة أوروبا 1905 - 1908: مرحلة مصبوغة بروح الحُبّ والجمال.

- مرحلة أخيرة إلى وفاته: وفيها خَفّ سلطان المحبّة والجمال، وحلّ محلّه تَوق إلى الحكمة والكمال.

وقد وصَلَنا نحن- العرب- هذا الشّعر في صياغة شعرية جميلة، قام

بها كل من: (عبدالوهاب عزام، وصاوي شعلان المصري،عبدالمعين الملوحي، وزهير ظاظا) كما تُرجِمَت أعماله الفكرية، من أشهرها كتابه: «تجديد الفكر الديني».

فِكْر محمد إقبال وشعره يشكّلان طرحاً نوعياً متجدِّداً للدين، وإعادة قراءة للقرآن بروح حيويّة نتلمّس فيها اجتهادات السابقين، وكيف نعيد العلاقة بين الروح والعقل في أفق التجربة الرياضية الروحية.

الاجتهاد والتجديد في خطاب إقبال

تُعَدّ فلسفة محمد إقبال الدينية التجديدية استمراراً لجذوة الاجتهاد الذي عرفته الحضارة العربية الإسلامية، فهو يعيد قراءة القرآن الكريم وفق رؤية كونية إنسانية تتلمّس التجربة الصوفية الروحية التي تأثّر بها من خلال جلال الدين الرومي، والبسطامي، والحاتمي، كما يعيد استلهام الأشعرية واجتهادات فخر الدين الرازي، وابن حزم، وابن خلدون، والطوسي حين يكون الحديث عن الإيمان والعلم، ولا يجد تعارضاً حين يعود لبرغسون وفلسفته الحيوية أو الفلسفة البراغماتية عند وليام جيمس بالخصوص، وما توصَّل إليه علم النفس الحديث، كما تبيَّنت مقدرته في متابعة الرياضيات والفيزياء والعلوم الطبيعية.

يسعى محمد إقبال إلى وضع المعرفة الدينية في صورة علمية من خلال إعادة قراءة القرآن الكريم وفقاً لمنهجه العملي، وبالعودة إلى التصوُّف كرياضة روحية، المنهج الذي عليه اليوم أن يستلهم نتاج العقل الحديث باعتماد الرؤية النفسية بدل الاقتصار على التحليل الفيزيولوجي والمادي،

وقد جَسَّد إقبال هذا المسعى في مجموعة محاضرات حاول أن يعيد من خلالها بناء الفلسفة الدينية الإسلامية، وقد توزَّعت المحاضرات على المواضيع التالية:

- المعرفة والرياضة الدينية.

- البرهان الفلسفي على ظهور التجربة الدينية

- الألوهية ومبدأ الصلاة

- روح الثقافة الإسلامية

- مبدأ الحركة في الإسلام

ما يميِّز فلسفة محمد إقبال أنها تجمع بين الدين والعلم والشعر العالي الرفيع، فيحضر التفسير العملي النفسي للوحي مستلهماً آراء الفيلسوف هنري برغسون بالخصوص وتطورات العلم نحو اللامادي، وفتح الأفاق نحو الجوانب الروحية والمعنوية في الحياة، أما الشعر فقد استوعب المعنى الصوفي من جلال الدين الرومي ومن الحكمة الفارسية والحكمة الهندية، كما يستشهد بشعراء الرومانسية الألمانية، وهو في ذلك يشبه، في طريقة تناوله للشعر، نيتشه، وهيدغر.

الدين عنده تعبير كلّي عن الإنسان ووصوله إلى الحقيقة دفعة واحدة، وذلك لا يتعارض مع الدين والعلم في الوصول بالجزء إلى الحقيقة. وحين يعود إقبال إلى الفِرَق الإسلامية وجدل الكلاميين يلاحظ أن الفلسفة اليونانية وسَّعت آفاق النظر العقلي عند مفكِّري الإسلام، ولكنها غشّت على أبصارهم في فهم القرآن.

وفي معرض نقده لابن رشد، الذي كان أرسطياً، ينتصر إقبال للأشاعرة

كونهم سبقوا الفلسفة المثالية، عكس المعتزلة الذين قصروا إدراكهم للدين على أنه مجموعة من العقائد، متجاهلين أنه حقيقة حيويّة، فلم يحفلوا بأساليب إدراك الحقيقة إذا كانت لا تقبل التصوُّر، وأرجعوا الدين إلى نسق من المعاني المنطقية انتهى إلى موقف سلبي بحت، وفي هذا الصدد تشبه دعوة الغزالي ما قام به كانط في القرن الثامن عشر في كشفه قصور العقل الإنساني ردّاً على المذهب العقلي، الغزالي ولّى وجهه شطر الرياضة الصوفية حين خاب رجاؤه في الفكر التحليلي، ومن ثَمّ جعل للدين حقّ الوجود مستقلاً عن العلم وعن الفلسفة الميتافيزيقية، وفي معرض مقارنة إقبال بين البداهة والتفكير ينتقد تصوُّر الغزالي في قوله بتناهي العقل، فالفكر هو «الكل» في حركة تكشّفه عما في ثناياه، يبدو للناظر إليه من زاوية الحدوث كسلسلة من معينات محدّدة لا يمكن إدراكها إلا من طريق نسبة بعضها إلى بعض، وهذا الكل هو المقصود «باللوح المحفوظ»، واللاتناهي هنا هو وراء الشوق للمعرفة.

دافع إقبال عن الأشاعرة ولَفَتَ الانتباه إلى نظريتهم في الجوهر الفرد، فالعالم عند الأشاعرة يتألّف من أشياء اصطلحوا على تسميتها بالجواهر، وهي أجزاء متناهية في الصغر بحيث لا تقبل التجزُّؤ والانقسام، وبأن خلق الله للحوادث مستمرّ غير منقطع، فكذلك عدد الجواهر لا يمكن أن يكون متناهياً، فالعالم في نموّ مستمرّ، ووجود الجوهر عَرَض، أي ماهية يلحقها الله به، فوجوده تجلّي الله، وباجتماع الجواهر تصبح ممتدّة، وتحدث مكاناً، ورغم وصول الأشاعرة إلى أن المكان يحدث نتيجة انتظام الجواهر فهم عجزوا عن تفسير الحركة بوصفها انتقال الجسم في جميع نقط الفراغ المتوسطة بين نقطة البدء ونقطة الانتهاء، وهذا يؤدي إلى حقيقة وجود «الخلاء»، ولكي يخرجوا من مأزق الخلاء اقترح النظام «الطفرة»؛ أي أن الجسم لا يمرّ من نقطة إلى نقطة، ولكنه يثب

«الوثب»، ومن ثَمَّ يرى إقبال أنه رغم قصور نظرية الأشاعرة إلا أنها أقرب إلى روح القرآن من نظرية أرسطو التي تقول بعالم ثابت، فالجوهر متحيِّز حين نُلحِق به صفة الوجود وحين ننظر إليه باعتباره مظهراً من مظاهر القدرة الإلهية فإنه- أساساً- يكون روحياً، وهنا، في مقارنته الغزالي بالرومي يرى أن الرومي أقرب إلى الحقيقة الإسلامية، كما أن إقبال في موضوع الزمان يعدّ نظرية الأشاعرة أول محاولة في تاريخ الفكر الإسلامي، فهو يتركَّب من آنات مفردة، وهذا يؤدي إلى القول أن بين لحظة وأخرى فراغ، وله صفة التدفُّق والحركة والمرور، وهذا ما أثبته العلم الحديث، وقد طَوَّر رؤية الأشاعرة في مسألة الزمان فخر الدين الرازي في كتابه «المباحث المشرقية».

يحاول إقبال أن يركِّز في فهمه للقرآن الكريم على أنه عملي اهتمّ بالنفس الإنسانية وبحرّيّتها وحركتها، وهنا -أيضاً- تقدير الواقع في القرآن، وهو يبصِّرنا بحقيقة التغيُّر الدائم، فيشير من حين إلى آخر إلى أن البحث في الرياضة الدينية- بوصفها مصدراً للعلم الإلهي- أسبق في التاريخ من تناول غيرها من ضروب التجربة الإنسانية للغاية نفسها، فالتجربة الإنسانية حقيقة واقعة، والرسول أول من تناول النظر النقدي للظواهر الروحانية:

- التجربة الصوفية تخضع للتأويل لتحصيل العلم بالله، وهي تجربة مباشرة.

- هذه التجربة كلّيّة لا تقبل التحليل.

- لحظة التصوُّف عند المريد لحظة اتِّصال وثيق بذات أخرى فريدة سامية تفنى فيها شخصية المريد.

ـ مادامت هذه المعرفة مباشرة لا يمكن الاطِّلاع عليها ونقلها كاملة لإنسان آخر، وذلك لأن حالات الصوفية أشبه بالشعور منها بالتعقُّل، فالآيات تبيّن الحالة السيكولوجية للتجربة لا كُنْهَ محتويات التجربة «وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ» (سورة الشورى- الآية 51). والشعور الصوفي فيه عنصر من الفكر أيضاً، كما أن الشعور والفكر مظهران لوحدة واحدة من التجربة الباطنية: أحدهما مظهرها الأزلي الخالد، والآخر مظهرها الزماني المعين.

ـ الحالة الصوفية باعتبار تفرُّدها تظلّ مُتّصلة بالتجربة العامة على وجه ما، وحين التكلّم بلغة علم النفس نجد كل الأحوال الشعورية سواء أكانت محتوياتها دينية أم غير دينية، تنشأ من ظروف عضوية.

أجراس العودة وهلال القوّة

في قصائده الأولى يقرع محمد إقبال أجراس عودة قوافل المجد الأولى، وبعث الأمة «ديوان صَلصَلة الجَرْس»، وأمير هذا الركب المنتظر المعلوم محمد صلى الله عليه وسلّم. هنا يتذكَّر محمد إقبال في «نشيده الإسلامي»، الذي حفظه الأطفال والشباب والكهول، الأندلس، ودجلة، وأرض الحرمين، إنها الجغرافيا الإسلامية التي انتصر فيها «الهلال – الخنجر» وكان النداء بالأذان الذي هو دعوة للمحبة والانتصار، هو جَرْس لفظي يحمل روح العودة الدائمة إلى الله، المطلق، الخلود، في هذه الأنشودة يصير الدين الوطن.

وفي «الشكوى وجواب الشكوى» أو «حديث الروح» يقطع الزمان

طريق أمسنا عن غدنا، وبالهبّة الكبرى نعيد للزمان ترتيبه، فمحمد النبي أعطى معنى للوجود، وحين المقارنة مع اليونان «الفلسفة» والفرس «السياسية»، فلنا القوّة:

كنّا نقدّم للسيوف صدورنا لم نخش يوماً غاشماً جبارا

جوهر الحياة هو الحُبّ، وجوهر الحُبّ هو الذات

هذا الجهد الشاقّ الذي في أجراس وأناشيد محمد إقبال يدفعك إلى تسلّق مراتب الوجود، والعلاقة هنا تقوم على الحُبّ والشوق، ويمكن تعداد صفة الذات العاشقة في:

- الذاتية جوهر الكون، وأساس نظامه، وسرّ الحياة فيه.

- الذاتية تحيا من تخليق المقاصد، وتوليد الآمال، يقول: «نحن أحياء بتخليق المقاصد، ونحن منيرون من شعاع الأمل» من قصيدة «حياة الذات من تخليق المقاصد».

- وأن الذات تقوى بعشق ما تؤمّل، وسعيها إليه غير متوانية، وإقدامها عليه غير هيّابة، واقتحامها كل عقبة في سبيله»، «وهي بالمحبة أقوى، وأحيا وأضوأ»، وبالجهاد تقوى الحياة، واستخراج كل ما في فطرته- أي الإنسان- والاعتماد على النفس، والتحذير من التقليد.

- الكون بكل أشكال وجوده يتماسك بفعل روح أساسية شاملة لكلّ شيء، أو على الصحيح، ينشأ منها كلّ شيء «خودي»، أي الذات.

- الذات بحركتها تبدع الحياة، وهي في نزاع دائم مع الموت، وتنتصر عليه.

ـ الذات الفردية تتجزَّأ، وغاية الفرد البحث عن الذات المطلقة «الأنا» وهي تترقّى، ولبلوغ الكمال عليها بالجهاد.

عشق الحياة

لا حياة للذات إلا بغاية المقصد، فالعين خُلقت من أجل الرؤيا «المقصد»، والعقل وليد الأمل:

للحياة العلم والفن خدَمْ   للحياة العلم والفن حشمْ
جاهلاً سرّ الحياة اجتهدِ   وامضِ ثوان بخمر المقصدِ

هنا عشق الحياة، وفي ذلك ينصحنا في قصائده بالعودة إلى جلال الدين الرومي الذي كان تعبيراً عن الشوق الإلهي، وهنا يذكِّرنا إقبال أننا عرايا مثل بنت حاتم الطائي التي غطّاها الرسول عليه السلام حين رآها في مجموع الأسرى، فرداء نبيّنا هو رمزية إخفاء عوراتنا من التكالب على الدنيا ونسيان سطوتنا ومجدنا وضياع أرضنا ومقدساتنا، هنا يلبس الحاتمية الغطاء لستر العري، وفي فتح مكة يعلّمنا نبيّنا قوّة النفس حين تعفو «لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء».

التوحيد وتسخير العالَم

الأمة المحمَّدية قائمة على التوحيد، غير محدّدة بمكان أو زمان، وقانون أمّة التوحيد القرآن الكريم، ومركز وطنهم الديني الحرَم، ومقصد الأمة هو «حفظ التوحيد»، ومن ثَمَّ فالله سخّر لنا العالم، ولا يكون الاستمرار إلا

بالأمومة التي بدايتها فاطمة الزهراء، وتعبّر عن ذلك سورة «الإخلاص».

ولا يكون ذلك إلا بامتثال أوامر الله «قصيدة الطاعة»، فللتربية الذاتية ثلاث مراحل: الطاعة، وضبط النفس، والنيابة الإلهية، وإذا كانت عصا موسى أبطلت السّحر، فعصا التوحيد تبطل الخوف.

ولتسخير العالم بالتوحيد يعتمد «فلسفة القوّة» كمصدر للمسلم، يقول: «الرياضة الدينية في جوهرها حالة من حالات الشعور، لها ناحية فكرية لا يمكن كشف محتوياتها للغير إلا في صورة حكم الأدلّة الفلسفية التي تعطينا دليل اختراع صانع وليس إلهاً، وهنا يدعو إلى الحكم القائم على التجربة الدينية التي تطمئنّ إلى المقاييس العقلية كل الاطمئنان. وإن ميادين التجربة ذات الشأن الأكبر إذا فُحِصت بعَين تنظر إلى الأمور نظرة شاملة، فإنها تكشف عن إرادة مبدعة ذات نظام معقول هي الأساس النهائي لكل تجربة.

من ديوان

صلصلة الجَرْس

نقله إلى العربية نثراً ،ثم صاغه بالعربية شعراً

الشيخ صاوي شعلان المصري

النشيد الإسلامي

عَلـمُ الإسـلامِ علـى الأيَّـا م شـعارُ المجـدِ لمِلَّتِنَـا

بهـلال النَّصـر يُضـيءُ لنـا ويُمَثِّـل خِنجَـر سَـطْوَتِنَا

وأذانُ المُسـلِمِ كانَ لـه فـي الغَـرْب صدًى مـن هِمَّتِنا

قولـوا لِسَـماءالكوْنِ لقـدْ طاوَلْنـا النَّجْـمَ بِرِفعَتِنـا

يادَهـرُ لقـد جَرَّبـتَ علـى نيـرانِ الشِّـدَّة عَزْمتِنـا

طُوفـانُ الباطِـل لـم يُغـرِقْ فـي الخَـوفِ سـفينةَ قوَّتِنـا

يـا ظـلَّ حدائِـقِ أنْدلـسٍ أنسـيتَ مغانـيَ عشـرَتِنَا

وعلـى أغصانِـكَ أوكارٌ عمَـرَتْ بِطلائِـعِ نَشـأتِنَا

***

يا دجلةُ هَلْ سجَّلت على شطّيكَ مآثِرَ عزَّتِنَا
أمواجُك تَروي للدُّنيا وتُعيدُ جواهِرَ سيرَتِنَا
يا أرْضَ النورِ من الحَرَمَيْـ ـنِ ويا ميلادَ شريعَتِنَا
رَوْضُ الإسلام وَدوحتُهُ في أرْضِكِ رَوَّاها دمُنا
ومُحمَّد كان أميرَ الرَّكْبِ يقودُ الفوْزَ لنُصرَتِنا
إنَّ اسمَ محمَّدٍ الهادي رُوحُ الآمالِ لِنَهْضَتِنا
دَوَّتْ أنشودةُ «إقبالٍ» جَرَساً يَحدو فيه الزَّمنا
ليُعيدَ قوافِلَنا الأولى في المَجدِ ويبعَثَ أُمَّتَنا

***

الشكوى وجواب الشكوى *

(الشكوى)

شكْوايَ أمْ نجْوايَ في هذا الدُّجى؟ ونجومُ ليلي حُسَّـــدي أو عُوَّدي

أمســيتُ في الماضي أَعِيْشُ كأنما قطعَ الزَّمانُ طريق أمَسِـــي عن غَدِي

والطيــرُ صادحــةٌ علــى أَفْنَانِهَــا تبكي الرُّبـــى بأنينها المتجدِّدِ

قـــد طالَ تَسْـــهيدي وطالَ نشــيدُها ومَدَامِعِي كالطلِّ في الغُصْنِ النَّدِي

فإلــى متَــى صَمْتِــي كأنِّــي زهرةٌ خَرْسَــاءُ لمْ تُرزَقْ بَراعَةَ مُنْشِدِ؟

***

قَيثَارَتــي مُلِئَـــتْ بأنَّـــات الجَــوى لابُـــدَّ للمَكْبُوْتِ مـــن فَيَضَانِ

صَعدَتْ إلى شَـــفَتي بلابلُ مُهْجَتِي لِيَبيْـــنَ عنها مَنطقي ولِسَـــاني

أنـــا مـــا تَعَدَّيْـــتُ القناعــةَ والرِّضا لكنَّما هـــي قصةُ الأَشُـــجَانِ

أَشُـــكُوْ وفي فَمِـــيَ التُــرابُ وإنَّما أَشُـــكُوْ مُصابَ الدِّين للدَّيّانِ

---

* عُرفت هذه القصيدة في بلاد العرب باسم (حديث الروح)

يَشْــكُوْ لكَ اللهــمَّ قلبٌ لــمْ يَعِشْ   إلّا لحمــدِ عُلاكَ في الأَكْوَانِ

***

قد كانَ هــذا الكونُ قبــل وُجودِنا   رَوْضــاً وأزهــاراً بغير شَــمِيمِ

والوردُ في الأَكْمَامِ مجهولُ الشَّــذَا   لا يُرْتَجــى وردٌ بغيــر نَسِــيمِ

بَــلْ كَانَــتِ الأيَّــامُ قبــل وجودِنا   ليْــلاً لظالِمِهــا وللمَظْلُــومِ

لمَّــا أطــلَّ مُحَمَّــدٌ زَكَــتِ الرُّبــى   واخضَرَّ في البُسْتَانِ كلُّ هَشِيمِ

وأَذَاعَــتِ الفِرْدَوسُ مَكْنُونَ الشّــذا   فإذا الوَرى في نُضْــرةٍ ونَعيمِ

***

مَنْ كان يَهتِفُ باســم ذاتِــكَ قَبْلَنَا؟   مَنْ كان يَدْعو الواحد القهَّارا؟

عَبَــدُوا تَمَاثِيــلَ الصُّخورِ وقدَّسُــوا   مِنْ دُونِكَ الأحْجارَ والأشجارا

عَبَــدُوا الكَوَاكبَ والنُّجــومَ جَهَالَةً   لَمْ يَبْلُغُــوا مِنْ هَدْيِهَــا أَنْوَارا

هَلْ أَعْلَنَ التَّوْحيدَ داعٍ قَبْلَنَا وهَدَى الشُّــعَوبَ إليكَ والأَنظارا؟

كُنَّا نُقَدِّمُ لِلسُّــيُوفِ صُدُورَنا لَم نَخُشَ يَوْماً غَاشِــماً جبَّارا

***

قَدْ كَانَ في اليُونَانِ فَلْسفَةٌ وفي الـرُّومَانِ مَدْرَسَةٌ وكانَ المُلْكُ في سَاسَانِ(1)

لَمْ تُغْــنِ عَنْهُم قــوَّةٌ أو ثَرْوَةٌ في المالِ أو في العِلْمِ والعِرْفانِ

وبِــكُلِّ أرضٍ ســامِريٌ مَاكِرٌ يَكْفِي اليهودَ مؤُؤنةَ الشَّــيطانِ

والحِكْمَةُ الأُولى جَــرَتْ وثنيَّةً في الصِّين أو في الهندِ أو طُورانِ

نَحْــنُ الذِينَ بِنُورِ وَحْيِــكَ أَوضَحُوا نَهْــجَ الهُدى ومَعَالِــمَ الإيمَانِ

***

منْ ذا الذيَ رفعَ السُّيوفَ ليرفعَ اسْــمَكَ فَوقَ هاماتِ النُّجوم مَنارا؟

كنَّــا جبــالاً فــي الجِبَــال ورُبَّمــا سِــرْنا على مَوْجِ البِحارِ بِحارا

بِمَعابِدِ الإفْرَنْــجِ كانَ أَذَانُنَا قبلَ الكَتائِبِ يفتحُ الأَمْصَارا

---

(1) يمكن أن يستقيم الوزن على حساب المعنى فيكون:

قد كان في (اليونان) و (الرومان) مدرسة، وكان الملك في ساسان

لمْ تَنْــسَ إفريْقيَّةٌ: صَحْراؤُها سَجدَاتِنا والأرضُ تَقْذِفُ نارا

وكأنَّ ظِلَّ السَّيْفِ ظِلُّ حديقةٍ خَضْراءَ تُنْبِــتُ حولنا الأزهارا

***

لمْ نخشَ طاغوتاً يحارِبُنا ولو نَصَــبَ المنايا حَولنا أسْــوارا

نَدْعُو جهاراً لا إله سِوى الذي صنــعَ الوجودَ وقــدَّر الأقدارا

ورؤوسُــنا ياربِّ فوقَ أكفِّنا نَرْجُــو ثوابَك مَغنَمــاً وجِوارا

كُنَّا نرى الأصنــامَ منْ ذهبٍ فَنَهْدِمُهَا ونَهْدِمُ فَوْقَها الكفَّارا

لو كانَ غير المُسْلمينَ لحَازَهَا كنْزاً وصاغَ الحِلْــيَ والدِّيْنارا

***

كم زُلْزِلَ الصَّخْرُ الأشمُّ فما وهَى مــنْ بأسِــنا عَــزمٌ ولا إيْمَانُ!

لــو أنَّ آســادَ العَريْــنِ تفزَّعَتْ لــم يَلْقَ غيــر ثَباتِنــا الميدانُ

وكأنَّ نيرانَ المدافعِ في صُدُو رِ المؤمنينَ الــرَّوحُ والرَّيحانُ

توحيدُك الأعلى جَعَلْنا نَقْشَه نوراً تُضــيءُ بصُبْحِهِ الأزمانُ

فغدت صدورُ المؤمنينَ مَصَاحِفاً في الكون مسطوراً بها القرآنُ

***

(جواب الشكوى)

كلامُ الرُّوحِ للأرواحِ يَسْــري　　وتُدركُــه القلوبُ بــلا عناءِ

هتفتْ بــه فَطارَ بــلا جناحٍ　　وشــقَّ أنينُه صــدر الفضاءِ

ومعدنُــه تُرابــيٌّ ولكــنْ　　جرتْ في لفظِه لغةُ السَّــماءِ

لقد فاضت دموعُ العِشقِ منّي　　حديثــاً كان عُلــوِيَّ النداءِ

فحلَّقَ فــي رُبا الأفلاكِ حتى　　أهاجَ العالــمَ الأعلى بكائي

***

تحاوَرَتِ النُّجومُ وقلْن: صوتٌ　　بقربِ العرشِ موصولُ الدُّعاءِ

وجاوبت المجــرَّة: علَّ طيفاً　　سرى بين الكواكب في خَفاءِ

وقال البدرُ: هذا قلبُ شــاكٍ　　يواصل شــدْوَهُ عند المســاءِ

ولم يعرفْ سوى رضوان صوتي　　ومــا أحــراهُ عنــدي بالوفاءِ

ألــمْ أكُ قبلُ فــي جنَّات عدنٍ　　فأخرجَني إلى حين قضائي؟

أتشكُو أنْ ترى الأقوامَ فَازُوا　　بمجــدٍ لا يــراه النَّائمونا؟

مَشَوْا بهدي أوائلكم وَجَدُّوا　　وضيَّعتــم تــراثَ الأوَّلينــا

أيُحْرمُ عامــلٌ وِرْدَ المعالي ويســعدُ بالرُّقيِّ الخامِلُونا؟
أليسَ من العدالة أنَّ أرْضِي يكون حصادُهــا للزَّارعينا؟
تَجَلِّي النُّور فوق الطّور باقٍ فهل بقيَ الكليمُ بطُورِ سينا؟

***

ألــمْ يُبْعَــثْ لأُمَّتكــم نبيّ يوحِّدكــم على نهــجِ الوئامِ
ومصحفُكــم وقِبلتُكم جميعاً منــارٌ للأخــوّةِ والسَّــلامِ
وفوق الــكلِّ رحمــنٌ رحيمٌ إلــهٌ واحــــدٌ ربُّ الأنــامِ
فمــا نــارُ ألفتكــم تولّــى وأمســيتُم حيارى في الظّلامِ
وحســن اللُّؤْلُؤ المكنونِ رهنٌ بصوغِ العِقْد في حُسْن النِّظامِ

***

أعدْ من مشرقِ التَّوحيدِ نوراً يتــمُّ بــه اتِّحــادُ العالمينا
وأنت العطرُ في روضِ المعالي فكيفَ تعيش مُحتبِساً دفينا؟
وأنت نســيمهُ فاحملْ شذاه ولا تحمــلْ غبــارَ الخاملينا
وأَرسلْ شعلةَ الإيمانِ شمساً وصُغْ مِــنْ ذَرّةٍ جبلاً حصينا
وكن في قمَّةِ الطَّوفان موجاً ومُزناً يُمطرُ الغيــثَ الهَتُونا

***

من ديوان
الأسرار والرموز

نقَلَه إلى العربية شعراً

....

الدكتور عبدالوهّاب عزّام

القسم الأول

أسرار إثبات الذات

في بيان أن حياة الذات بتخليق المقاصد وتوليدها

إنما يُبقي الحيــاةَ المقصدُ جَرَسٌ في ركبهــا ما تَقصدُ

سِــرُّ عيشٍ في طِلابٍ مَضمَرُ أصلُــه فــي أمــلٍ مســتترُ

أَحيِ في قلبــكَ هذا الأَمَلا لا يَحُــلْ طينُك قبــراً مُهمَلا

يخفِقُ القلبُ به بين الصدورْ هو في صــدرِكَ مــرآةٌ تُنيرْ

يهَبُ التربَ جَناحــاً يَصعَدُ ولموسى العقلِ خَضْراً يُرْشِدُ

إنمــا يحيــا الفــؤادُ الآملُ وإذا حــيَّ يمــوتُ الباطــلُ

فــإذا عــيّ بتخليــق المُنَى هِيضَ سِــقطاه وأودَى وَهَنا

أملُ الــذاتِ لهيبٌ يَســتعِرْ … أو هو الموجُ الذي لا يستقِرّْ

وهَقُ المقصــودِ حَبْل الأملِ … إنَّــه خَيْــط كتــابِ العملِ

ومماتُ الحيِّ فقــدانُ الرجاءْ … يُطْفىءُ الشعلةَ فِقدانُ الهواءْ

***

كيف فينا أعيــنٌ قد ظهرتْ؟ … لــذةُ الرؤيــةِ فينا صُــوِّرَتْ

من مُنَى التَّخطارِ رِجْلُ الحجَلِ … من مُنَى التغريد حَلقُ البلبلِ

حَيَّ نــايٌ قد نأى عــن غابِهِ … أطلــقَ النَّغمةَ مــن أوصابِهِ

ذلكَ العقلُ الذي الكونَ طَوى … وتَرى الإعجــازَ فيه والقُوَى

إنَّمــا أصــلُ الحيــاةِ الأملُ … فكــذاك العقلُ منه يُنسَــلُ

***

(في بيان أن الذات تستحكم بالمحبّة والعشق)

إنَّ فـــي قلبــك معشــوقاً ثوى   أقبِلَــنْ أنبئْك عن هذا الجَوى

عاشــقوه قد شَــأَوْا كلَّ جميلْ   حبُّهم فـــي كلّ قلبٍ لا يَحولْ

عشــقُه في القلب نورٌ أســفَرا   للثُّريــا يرتَقــي منــه الثَّــرى

تُربُ نجــدٍ منه قد خفَّ وضاءْ   طارَ وجداً مُصعَداً نحو السَّماءْ

مُهْجةُ المسلمِ مَثْوى المصطفى   عِزَّةُ المسلمِ ذكرى المصطفى

موجــةٌ من نَقْعهِ الطورُ الأشــمّ   دارُه، للكعبــة العظمــى حَرَمْ

ضــاقَ عــن آنٍ حــواه الأبدُ   مســتمدٌّ مــن مــداه الأمــدُ

آثَــرتْ سُــحقَ حصيــرٍ عِفَّتُهْ   وعلتْ تيجــانَ كســرى أمَّتُهْ

خلــواتٌ فــي حِــرَاءٍ خَلَقَــا   أمّــةً مِنْهــا وحُكماً مُشــرِقا

كم ليــالٍ قد قضاها ســاهدا   فحبــا الأمــةَ مُلــكاً خالدا

سيفُه في الحربِ قَطّاعُ الحديدْ   عينُه في الذكرِ بالدَّمعِ تجودْ

سيفُه «آمين» تمحو الظالمينْ — حين يدعو الحقُّ بالنَّصرِ المُبينْ
سُــنَناً فــي كوننا قــد جَدّدا — ومــن الماضين مُلــكاً بَدَّدا
فتــحَ الدُّنيــا له مفتــاحُ دينْ — عقِمتْ عن مثلِه أمُّ السِّــنينْ
اســتوى مولًى لديــه وغلامْ — هو والعبدُ ســواءٌ في الطعامْ

***

كم يُريكَ العِشقُ من صهبائِهِ — فتــرى التقليدَ من أســمائِهِ
أَحْكِمِ العِشقَ بتقليدِ الحبيبْ — لتنال القربَ منْ ربٍّ مُجيبْ
في حِراء القلبِ فاقعدْ خاليا — وإلــى الحقِّ فهاجِــرْ راضِيا
اقويَنْ بالحقِّ ثمَّ ارجعْ إليكْ — واحطمنَّ اللّات والعزَّى لديكْ
قَوِّيَنْ بالعشــقِ في ســلطانِهِ — وابتغِ الجلوة فــي فارانِهِ [1]
تظفرنْ بالقربِ يا ذا السائلُ — وتكنْ تفسيرَ «إني جاعلُ»

(1) فاران: اسم مكة أو جبالها

في بيان أن الذات تستحكم بالمَحَبّة والعشق ، فتُسَخِّر قوى العالم الظاهرة والباطنة

حينما الذّات بعشـــقٍ تُحكَمُ / أمرُها في الكون طرّاً يَحْكُمُ

فإذا مـــا أَوْمأَتْ شُـــقَّ القمرْ / يدُها مـــنْ قـــوّةِ الحـــقِّ أَثرْ

صاغرٌ في حكمِها دارا وَجَمْ [1] / في خصوماتِ الورى أقوى حَكَمْ

اسمُه في الهند مشهورٌ عَلِيّ [2] / اسْمعَنْ منّي حديثاً عن وَلِيّ

قصَّ أخباراً عن الوردِ الشميمْ: / ذلك الصّدّاح في المرجِ القديمْ

قصَدَ الأســـواقَ فـــي بغيتِهِ / ســـالكٌ ســـكرانُ من خمرتِهِ

معـــه الحرَّاسُ قـــد حفَّتْ بِهِ / وأتـــى العامـــلُ فـــي موكبِهِ

---

(1) دارا وجمشيد: من ملوك الفرس القدماء

(2) الشيخ أبو علي قلندر: من كبار صوفية الهند في القرنين السابع والثامن.

صاحَ للتطريقِ جنديٌّ نكيرْ: أيُّها الأحمقُ أَفسِــحْ للأميرْ

ومضى الدَّرويش في تسيارِهِ غارقاً في اللجّ مــن أفكارِهِ

فأتى ربُّ العصا في شــرَّتِهْ ضارباً رأسَ الفتى في غفلتِهْ

فتنحَّـــى عن طريــقِ العاملِ وهو فـــي ذعرٍ وحــزنٍ قاتلِ

ومضى يشكو إلى شيخِ الطريقْ دمعُه من محبَسِ العينِ طَليقْ

زمجرَ الشَّــيخ يقولٍ من ضَرَم مثل برقٍ في ذُرى الطّودِ اضطَرَمْ

ثم أملى الشَّيخُ سطراً من لَهبْ قال للكاتب في نارِ الغضبْ:

أمسكِ المِزْبَر واكتبْ ذا النذيرْ أبلغِ السُّلطانَ عن هذا الفقيرْ:

«عاملٌ عندك غرٌّ قد عصى وعلا رأس غلامــي بالعصا

اعزلِ العامــلَ، هذا الفاجِرا، أو أهَــبْ مُلــكَك آخَــرا»

عبــدُ حقٍّ فيه للهِ احتِســابْ أرعدَ السلطانَ منه ذا الكتابْ

آدَهُ غــمٌّ وخــوفٌ لا يحولْ فحكى في لونِهِ شمسَ الأصيلْ

قيَّـــدَ العامل بالقيـــدِ الثَّقيلْ واستغاثَ الشيخُ للصَّفحِ الجميلْ

ورأى خُســـرو له خَيْرَ ســـفيرْ ذلكَ الكوكبَ وضَّاءَ الضَّميرْ[1]

ســـاحرَ الألبابِ فـــي ألحانِهِ مســـتمدَّ الغيبِ فـــي تِبيانِهِ

وَلَها خســـرو بأوتـــارِ الربابْ فأهاجَ الشـــيخَ وجْداً وأَذابْ

فطـــرةٌ كالطّـــوْد فـــي عزّتِهِ خَشـــعَتْ لِلَّحْـــنِ فـــي رقَّتِهِ

احذَرَنْ لا تجرحَنْ قلبَ فقيرْ لا تزُجَّ النَّفْسَ في نارِ السَّعيرْ

(1) أمير خسرو دهلوي من كبار شعراء الهند في القرن الثامن الهجري

(قصة في معنى أن مسألة نفي الذَّات من مخترعات الأمم المغلوبة لتضعف الأمم الغالبة بهذه الطريقة الخفية)

قــد ســمعْنا أنَّ في عصــرٍ قديمْ　　جَمْعُ ضأنٍ كان في مَرعًى يُقيمْ

وفَرَتْ نسْلاً بذا المرعى الخصيبْ　　فارغاتِ البالِ من ليثٍ وذيبْ

ثــمَّ ألْــوَى بمُناهــنَّ القدَرْ　　ورمَى بالسَّــهمِ فيهنَّ الدَّهرْ

دهَمَتْهـا الأُسْـدُ من آجـامِها　　ناشــراتِ الذُّعْرِ فــي أيَّامِها

آيــةُ القــوَّةِ حكــمٌ قاهــرُ　　ســرُّها الظاهــرُ فتــحٌ ظافرُ

ضــربَ الليثُ طبــولَ النوبةِ　　آخــذاً آفاقَ هــذي الثَّلةِ [1]

وكســا المَرعى بصبغٍ أحمرا　　ما سِوَى الفَرسِ لدى أُسْدِ الشَّرى

وانبرى كبــش ذكيٌّ ذو عُمُرْ　　جرَّبَ الأحداثَ من حُلوٍ ومُرّْ

---

(1) طبل النوبة كان يُضرَب في أوقات معينة على أبواب الملوك.

غمَّــه ما قــد يعاني سِــربُهُ من فِعال الأسْــد يَدمَى قلبُهُ

أمــرهُ أحكــمَ فــي تدبيــرِهِ وهو يشكو الدَّهرَ في تقديرِهِ

باحتيالِ العقلِ يحمي نفسَهُ كلُّ رخــوٍ ليسَ يرجو بأسَــهُ

قوّة التدبيَر فــي دفعِ الضرَرْ في زمان الضَّعفِ أقوى وأمَرّْ

فــإذا ما ثــارَ للثــأرِ الجنونْ صار عقلُ العبدِ خلَّاقَ الفُتونْ

قال: أمــرٌ حارَ فيــه العاقلُ بحرُ عــمٍّ ليس فيه ساحِلُ

كيف للضــأنِ فعالُ الأسَــدِ ســاعدٌ رخــوٌ وفــولاذُ يــدِ

ليــس وعظٌ من بليــغٍ قادرا أن يردَّ الكبشُ ذئباً كاســرا

لكــنِ الليــثُ رآه حَمَــلا إن سَــها عن نفسِــهِ أو غَفِلا

فادَّعى في القوم دَعوى مُلهَمِ مرسَــلٍ للأُسْدِ شُــرَّابِ الدمِ

قال: كلُّ القوم «كذَّابٌ أَشِرْ» غافلٌ عن يوم نَحْسٍ مستمرّْ

جئتُ للنَّاس بشــرعٍ مُحكَمِ إنَّنــي النُّــورُ لطَــرْف مُظلِمِ

عجِّلوا التوبةَ عــن كلِّ قبيحْ واتركوا الحُرَّ إلى الفعلِ الربيحْ

ويحَ جَلْــدٍ أُحكِمَتْ فيه قُواهْ — «نَفْيُ ذاتٍ» هُو إحكامُ الحياهْ [1]

علَفُ العُشبِ به الروحُ تَطيبْ — عائفُ اللَّحــم إلى اللهِ قريبْ

حــدَّةُ الأســنانِ عــارٌ مُبرَمُ — بَصَــرُ الإدراك منهــا يُظلــمُ

إنّمــا القــوّةُ خســرانٌ مُبينْ — خُصَّتِ الجنَّةُ بالمستَضْعَفينْ

طلبُ السُّلطانِ شــرٌّ مستَطيرْ — خيــرُ الفاقــةُ من عِــزِّ الأميرْ

تأمــنِ الحَبَّــةُ برقــاً مُحرِقا — وتــرى البيــدرَ منــه مُحْرَقا

ذَرّةً كُــنْ لا كئيبــاً أفيَحــا — لتنالَ النُّورَ من شمسِ الضُّحى

قُلْ لمن يُزهَــى بذبحِ الغنمِ: — اذبــحِ النَّفــسَ بحــقٍّ تغَنمِ

يقطعُ السُّبْلَ على هذي الحياهْ — قــوّةٌ فيهــا وســلطانٌ وَجاهْ

يوطَأُ العشــبُ فينمــو صُعُدا — يَفتحُ الأعيــنَ من بعدِ الرَّدى

أغفِلَــنْ نفسَــكَ إمَّــا تَعْقلِ — إنَّما المجنونُ مــنْ لم يُغفِلِ

اســدُدَنْ عينــاً وأُذنــاً وفَما — ليجــوزَ الفكرُ أقطارَ السَّــما

هــذه الدنيــا فناءٌ فــي فناءْ — إنَّهــا وهــمٌ فما فيهــا رجاءْ

---

(1) مذهب محمد إقبال قائم على أن الخير في إثبات الذات والشر في نفيها.

كانتِ الأسْـــدُ جهـــاداً مَلَّتِ   نازعـــاتٍ نحو عيـــشِ الدَّعَةِ
عن هوى أصغتْ إلى النُّصحِ المُنيمْ   فَدَهاها الكبشُ بالسِّحرِ العظيمْ
كان فَرسُ الضأنِ من سُـــنَّتِها   فاقتدتْ بالضأنِ في شِرْعتِها
جوهرُ الآســـادِ أضحى خزَفَا   حين صـــار القوتُ هذا العَلَفا
ذهبَ العُشـــبُ بنابٍ ذي أشَرْ   أطفـــأَ الأعينَ ترمي بالشَّـــرَرْ
ذلكَ القلـــبُ عن الصَّدرِ نأى   جوهـــرُ المـــرآةِ فيهـــا صَدِئا
فذوى في القلبِ شوقُ العَملِ   وهُيامُ السَّـــعيِ خَلْف الأمَلِ
ذهب الإقـــدامُ والعزمُ الأليلْ   والسَّـــنا والعزُّ والمجدُ الأثيلْ
بُرثن الفولاذِ فيهـــا قد وَهَنْ   واستكانَ القلبُ في قبرِ البدَنْ
ونمـــا الخوفُ بنقـــصِ المِنَّةِ   قَطَـــعَ الخوفُ جـــذورَ الهمَّةِ
كلُّ داءٍ فـــي ســـقوطِ الهِمَمِ   يجعـــلُ الأحياءَ مثـــلَ الرِّمَمِ
نامتِ الأُسْـــدُ بســـحرِ الغنمِ   ســـمَّتِ العجزَ ارتقـــاءَ الأممِ

***

في حقيقة الشِّعْر وانسلاخ الآداب الإسلامية

أمــلُ الإنســان أنَّــى يظهرُ كيف يُشجي الحيَّ هذا المزهرُ؟

كلُّ خيــرٍ وبهيــجٍ وجميــلْ هــو في بيدائِنا نِعــمَ الدَّليلْ

حُســنُهُ في القلبِ نورٌ يَسْطعُ تجــدُ الآمــالَ منــه تطلــعُ

خُلِقَ الحســنُ نضيــرَ الأملِ وأدام الحســنُ نــورَ الأملِ

***

مطلعُ الحســنِ ضميرُ الشَّاعرِ طُورُه صبحُ الجمــالِ الباهرِ

زادتِ الحســنَ جمالاً نظرتُهْ زادتِ الفطــرةَ حبّــاً صنعتُهْ

غــرَّد البلبــلُ مــن تلحينِهِ ضاءَ خــدُّ الوَرْدِ مــن تلوينِهِ

نــارُه كلَّ فــراشٍ كاويَــهْ قِصصُ العشَّــاق منــه زاهِيَهْ

مُضمرٌ في خَلفِهِ بحــرٌ و بَرّْ أَلْف كونٍ محدَثٍ فيه اســتتَرْ

كم شقيقٍ في الحَشا لم يطلعِ وغُنــاهُ وبُكــىً لم يُســمَعِ!

فكـــره للبدر والنجـــم نَجِيّْ | يُبدعِ الحسنَ، وفي القبح عَيِيّْ
خَضِرٌ فـــي ليلِهِ مـــاءُ الحياهْ | تُزهرُ الأكوانُ منْ ماءِ بُكاهْ[1]
نحن أغـــرارٌ بطـــاءُ الأرجُلِ | ضلَّ ســـارينا طريـــقَ المنزلِ
لطُفـــتْ فـــي سَـــيرنا حيلتُهُ | وَعَلـــتْ فـــي رَكْبِنـــا نغمتُهُ
يحفزُ الرَّكْبَ لفردوسِ الحياهْ | ويُتِمُّ الـــدَّورَ في قوسِ الحياهْ
فمضى الركبـــانُ إثر الجرَسِ | وشدا الحادي بصوتٍ مؤنِسِ
وســـرَت في زَهرِنـــا نفحتُهُ | مذ سَـــرَت في روضِنا نسمتُهُ
نَفَـــسٌ منـــه حيـــاةٌ تُزهِـــرُ | حُـــرَّةٌ لوَّامـــةٌ لا تصبـــرُ
يأدِبُ النـــاسَ جميعاً للقِرى | نارُه كالريِّح تَسري في الورَى

***

ويلُ قـــومٍ لهـــلاكٍ طائـــرُهْ | صدَّ عـــن وِردِ حياةٍ شـــاعرُهْ
كلُّ حُسْـــنٍ شـــاهَ فـــي مرآتِهِ | في الجسومِ السُّمّ من جَرعاتِهِ
تُذبـــلُ الأزهـــارَ منـــه القُبَلُ | ويُعافُ الشَّـــدوَ منـــه البلبلُ

---

(1) إشارة إلى قصة الخضر واهتدائه إلى ماء الحياة في أرض الظلمات.

تهِــنُ الأعصابُ مــنْ أفيونِهِ ويمــوتُ الحيُّ مــن تلحينِهِ
يسلبُ السَّــروَ جميلَ المَيَلِ ويــردُّ الصقرَ مثــلَ الحَجلِ
هو حُوتٌ نصفــه كالآدمِيّْ كبناتِ البحر تقتــادُ الغَوِيّْ
يُســحَرُ الربَّانَ منها باللُّحونْ ولقاعِ البحرِ تهوي بالسَّفينْ
يَســلبُ القلــبَ ثباتــاً لحنُهُ ويــرَى المــوتَ حيــاة فنُّهُ
يُلبــسِ النَّفعَ لبــاسَ الضَّررِ ويُري الحســنَ قبيحَ الصُّورِ
في بحار الفكــرِ يُلقيكَ فلا تشــتهيهِ أو تطيــقُ العَمَــلا
شِــعرُه فينــا يزيــدُ الكَلَــلا كأسُــهُ فينــا تزيــدُ المَلــلا

***

صيرفيَّ القولِ: إن تبغِ النَّجاةْ فاجعلَــنْ معيارَه نــارَ الحياةْ
نيِّــرُ الفِكْــرِ يقــودُ العمَــلا مثلَ بــرقٍ قادَ رعــداً جَلْجَلا
منْ بفكــرٍ صالحٍ في الأدبِ؟ ارجعَنْ يا صاحِ شــطرَ العربِ
وسُلَيْمى العُربِ يا صاحِ اعشَقا لترى صبــحَ الحجــازِ ائتلقا
في رياضِ العجمِ قطّفْتَ الزهَرْ في ربيع الهند ســرَّحتَ البصرْ

من حَرور البيدِ فاشربْ يارفيقْ واشربَنْ من تمرِها الراحَ العتيقْ

أسْــلِمَنْ رأســكَ يوماً صدرَها وألقَيــنْ في حَرِّهــا صرصَرَها

قد لبســتَ الخزَّ طــولَ الزمنِ فَأْلَفِ الكِرْباسَ يوماً واخشَــنِ

كم وطئتَ الوردَ في طولِ المدى غاســلاً، كالوردِ، خَدّاً بالنَّدى

فعلى رملِ الصَّحارى المُضرَمِ أقدِمَنْ يومــاً وغُصْ في زَمزمِ

فيمَ هذا النوحُ مثــلَ البلبلِ؟ وإلام العُــشُّ بيــن الظّلــلِ؟

قد علا جــدُّ الهُما من صيدِكا اجعلَنْ في الطودِ مثوى عُشّكا[1]

ابنِ عُشّاً حيث لا تَرْقى الأنوقْ تختفــي فيــه رعــودٌ وبروقْ

لتــرى أهلاً لأعصــارِ الحياةْ وتُذيبَ النَّفسَ في نارِ الحياةْ

***

(1) الهما: طائر خرافي يجلب الحظ.

في بيان أن للتربية الذاتية ثلاث مراحل:
(الطاعة ، ضبط النفس، النيابة الإلهية)

(الطاعة)

أُلْفَــةُ الكــدِّ شــعارُ الجمَــلِ   شــيمةُ الصَّبر وَقــارُ الجَمَلِ
صامتَ الأخفافِ يمشي ماضِيا   زورقاً في البيدِ يَسري هادِيا
نقشَــتْ وجهَ الصحاري أرجُلُهْ   شــاردَ النَّــوم قليــلاً أُكُلُــهْ
ثِمــلاً يختالُ تحــتَ المحمَل   راقصــاً يُقدمُ شــطرَ المنزلِ
في المَــدى من راكبِيــه أَصْبَرُ   هائمٌ بالســيرِ عُجباً يَخطِرُ

***

فاحملِ الفَــرضَ قويّاً لا تهابْ   وارجُوَنْ من عنده حُسْنَ المآبْ
اجهدَنْ في طاعةٍ يا ذا الخسارْ   فَمِنَ الجبرِ ســيبدو الاختيارْ

بامتثـــالِ الأمرِ يعلو منْ رسَـــبْ وهَوى الطّاغي ولو كانَ اللَّهبْ

ســـخَّر الأفــلاكَ فـــي همَّتِهِ من ثوى في القَيدِ من شرْعتِهِ

قد ســـرى النَّجمُ يؤمُّ المنزِلا طــوعَ قانـــونٍ له قـــد ذُلِّلا

ونَما العشـــبُ بقانونِ النَّماءْ فإذا ما حادَ يُجفَـــى بالعَراءْ

ولهيـــبٌ دائمٌ دينُ الشَّـــقيقْ دمُهُ منْ ذاك يسري في العروقْ

يربطُ الذَّراتِ قانونُ الوصالْ فهي بحرٌ وهي بـــرٌّ باتِّصالْ

كلُّ شـــيءٍ فيه قانونٌ سَـــرى كيف في هذي المعاني يُمترى؟

ارجعَنْ يا حُرَّ دُســـتورٍ قديمْ زَيِّنَنْ رجْلَكَ بالقيدِ الوســـيمْ

شدّةً في شـــرعِنا لا تشكوَنْ وحدودَ المصطفى لا تعدُوَنْ

***

(ضبطُ النَّفْس)

جَمَلٌ نفسُـــك تربو بالعلَفْ | فـــي إبـــاءٍ وعنـــادٍ وصَلَفْ
فَكْـــنِ الحـــرَّ وقُدْهـــا بزمامْ | تبلُغَنْ من ضبطِها أعلى مَقامْ
كلُّ مَنْ في نفســـه لا يحكُمُ | هو فـــي حُكمِ ســـواه مُرغَمُ
إنَّما صُوِّرتَ مـــن طينٍ لَزِبْ | سيطَ في أمشاجه خوفٌ وحُبّْ :
خيفةُ الدُّنيـــا وخوفُ الآخرَهْ | خوفُ مَـــوتٍ ورزايـــا فاقرَهْ
حـــبُّ جـــاهٍ وثـــراءٍ وبَلَـــدْ | حُـــبُّ زوجٍ وقريـــبٍ ووَلـــدْ
من مزاجِ الطِّين والماءِ البدنْ | مَركبُ الأهواءِ، مَغلوبُ الفِتَنْ
منْ يَمسَّكْ بعصاً من «لا إلهْ» | فلتُحَطِّمْ طِلْسمَ الخوفِ يداهْ
كلُّ مَـــنْ بالحقِّ أحيا نَفْسَـــهُ | لا ترى الباطلَ يُحني رأسَـــهُ

لَيسَ يدنـــو الخوفُ منه أَبَدا ليس، غيرَ الله، يخشى أَحَدا

كلُّ مَنْ موطنُـــهُ إقليمُ «لا» منْ قيودِ الــزَّوجِ والوُلْدِ خَلا

مُعرضٌ عمّا سوى اللهِ الأَحَدْ يضعُ السكِّينَ في حلقِ الولَدْ

واحدٌ من نفسِـــه في عسكرِ يبذلُ الــرُّوحَ بيــومِ الخطَرِ

***

درَّةُ التوحيد، فاحفَظْها الصلاةْ حَجُّك الأصغرُ، فاعرفْها الصلاةْ

في يدِ المســلمِ هذا الخنجرُ يُقْتَــلُ الفحشُ بــه والمنكرُ

يفتكُ الصومُ بجوعٍ وصدَى ضابطاً بالقسطِ هذا الجَسدا

وينيــرُ الحجُّ قلــبَ المؤمنِ هجــرةُ الأهــلِ بــه والوطنِ

إنَّمــا الطاعــةُ أسُّ الأمــةِ إنهــا خيــطُ كتــابِ الملَّةِ

بالــزكاةِ العابدُ المــالِ ادَّكَرْ علَّمتْ حبَّ المســاواةِ البشرْ

تُكثِرُ المالَ، وشُــحّاً تَمحقُ «لن تنالوا البِرَّ حتى تُنفِقوا»

تلك أســبابٌ بها تَســتحكِمُ إن يكنْ في القلبِ دِيْنٌ مُحكِمُ

اقوَ يــا مؤمنُ باللــه القويّْ تحكُمَن في ذلك البَكر الأَبِيّْ

(النيابة الإلهيّة)

إنْ خَطمتَ الصَّعبَ قُدْتَ العالَما نافــذَ الأمــرِ عليــه حَكَمــا

مشرقاً في الأرضِ ما دارَ الفلَكْ فترى المُلــك الذي يخلُدُ لكْ

نائبُ الحقِّ على الأرض سعيدْ حكمُهُ في الكونِ خُلْدٌ لا يَبيدْ

هــو بالجــزءِ وبالــكلِّ خبيرْ وبأمــرِ اللهِ فــي الأرضِ أميرْ

في فيسحِ الأرضِ يمضي طاوِيا عزمُــهُ، هــذا البســاطَ الباليا

ينجلــي منْ فكرِه مِثــلَ الزَّهَرْ غيرَ هــذا الكونِ أكــوانٌ أُخَرْ

يُنضِــجُ الفكرةَ فينــا بالضَّرَمْ يُخرِجُ الأصنامَ من بيتِ الحرَمْ

رنَّ عــودُ القَلْبِ مــن مضرابِهِ يَقِــظٌ في الحــقِّ نومــانٌ بِهِ

باعثٌ في الشَّيب ألحانَ الشبابْ ناشرٌ في الكونِ ألوانَ الشَّبابْ

هو في النـــاسِ بشـــيرٌ ونذيرْ وهـــو جُنـــديٌّ وراعٍ وأميـــرْ

مقصدٌ من «علَّم الأسما» هُوَه سرٌّ «سبحان الذي أسرى» هُوَه

مُحضرٌ منْ تحته طِرفُ الزَّمانْ حينما يُمِســكُ منـــه بالعِنانْ

يبعثُ الأرواحَ منه قولُ «قُمْ» وهي إلى أبدانِهـــا مثلُ الرّممْ

ذاتَـــه تتبـــعُ ذاتُ العالَـــم ســطوةٌ فيهـــا نجـــاةُ العالَـــم

يبعثُ الميتَ بإعجازِ العملْ قِيَـــمُ الأعمالِ منـــه في بدَلْ

ســـيرُهُ يخضـــرٌّ فـــي بيدائِهِ كم كليـــمٍ هامَ في ســـينائِهِ!

جـــدَّدَ الدُّنيا بتفســـيرٍ جديدْ عبَّـــرَ الرؤيـــا بتعبيـــرٍ جَديدْ

كونُه المكنونُ أســـرارُ الحياهْ نغمَـــهُ يُضمرُ مزمـــارُ الحياهْ

شـــاعرُ الفِطرةِ غنَّـــى طبعَهُ ليقيـــمَ الـــوزنَ إذْ أبدَعـــهُ

نَقْعُنـــا ثارَ إلى أوجِ السَّـــماءْ فبدا الفـــارسُ من هذا الهَباءْ

***

فـــي رمادِ اليـــومِ منَّـــا ترقُدُ شُـــعلةٌ يرمي بها الكونَ الغدُ

روضــةٌ تُضمِرهــا أكمامُنــا ضاءَ من صبحِ غــدٍ أبصارُنا

أنت يا فــارسَ طِرف الزَّمنِ! أنت يا نــوراً لعين الممكنِ

موكــبَ الإنشــاء هيَّــا زيِّنِ وتَمَكَّــنْ في ســوادِ الأعْيُنِ

قُمْ فسكِّن من ضَجيج الأممِ وامــلأِ الآذانَ زهــرَ النَّغَــمِ

جدِّدَنْ في الناسِ قانونَ الإخاءْ وأدِرْها كأسَ حــبٍّ وصفاءْ

أبلغِ الناسَ رســالاتِ السَّلامْ وأَعِدْ فــي الأرض أيّامَ الوئامْ

مِنْ بني الإنسانِ أنت الأملُ أنت منْ ركــبِ الحياةِ المنزلُ

أذبَلتْ كفُّ الخريفِ الشجرا فاغدُ في الــروض ربيعاً نضِرا

نحنُ من فيضِكَ نسمو للقُلَلْ في جهادِ الكونِ نمضي كالشُّعَلْ

***

يا أخا الوردةِ كُنْ صنوَ الحجرْ وكُــنِ الســورَ لبســتانِ الزَّهرْ

آدميَّــاً صــوِّرَنْ مــن تُربِكا ثم شــيِّدْ عالَمــاً بِدَعــاً لَكا

أنــتَ إن كنــتَ ترابــاً هيِّنا فليضَــعْ غيــرُك منــك اللَّبِنا

أيُّها الصَّارخُ مــن جَورِ الدَّهرْ يازُجاجاً يشتكي جورَ الحَجَرْ

فيمَ هذا النوحُ؟ ماذا المأتمُ؟ وإلامَ الصَّــدرَ حُزنــاً تَلــدِمُ؟

مضمرٌ في السعيِ مضمونُ الحياهْ لــذَّةُ التخليقِ قانــونُ الحياهْ

قُمْ فشــيِّدْ عالَمــاً دونَ مثيلْ وخُضِ النارَ وأقدِمْ كالخليلْ

إنما السَّــيرُ على حُكمِ الزَّمانْ هو رَمْيُ التُّرسِ في وقتِ الطِّعانْ

إنمــا الحرُّ الشــجاعُ الفطِنُ مَنْ قَفــا الآثارَ منــه الزَّمنُ

وإذا الدُّنيــا عَتــتْ عن أمرِهِ حاربَ الدَّهَر، ولــم يعبأْ بِهِ

يهــدمُ الموجودَ فيمــا آثرَا يمنحُ الــذرَّاتِ شــكلاً آخَرَا

يصــرفُ الأيامَ عــن كرَّاتها يمنعُ الأفلاكَ مــن دوراتِها

خالقِــاً من قــوّةٍ فــي قلبِهِ ذلك العصــرَ الذي يرضى بِهِ

فــإذا أعْــوَزَ عيــشُ الرَّجُلِ فالحياةُ الموتُ موتَ البطلِ

حبذا عشقٌ بغَى الأمرَ الجليلْ وجنى في النَّارِ ورداً كالخليلْ

تتجلَّى في مِــراسِ المُعْضلِ		قــوّةٌ كامنــةٌ فــي البطــلِ
عُدّةُ الأنذالِ حقدٌ لا ســواه		استمعْ: صاحِ، ذا شرعُ الحياهْ:
الحيــاةُ الحقُّ بــأسٌ يظهرُ		حُبّ الاســتيلاء فيه مُضمَرُ
رُبَّ عفــوٍ كان مــن آفاتِها		يكســرُ الموزونَ من أبياتِها
يحسَــب العجزَ قنوعاً خانعُ		لصــروفِ الدهــرِ ذلٌّ طائعُ
قاطعٌ سُــبلَ الحيــاةِ الخَوَرُ		قَلْبُــه خَوفــاً وكِذْبــاً يُضْمِرُ
قَلْبُــهُ مــنْ كلِّ خيــرٍ فارغُ		ليثُــه فــي كلِّ خُبــثٍ والغُ
في كمينٍ راصــدٌ هذا اللئيمْ		فاحذرَنْ يا صاحبَ العقلِ السليمْ
احذرنْ يا صاحِ مــنْ تزيينهِ		إنَّــه الحِربــاُء فــي تلوينِــهِ
إنَّه يَخفى على أهــل النظَرْ		لَبَــسَ الحقُّ عليهم واسَــتَترْ
في ثياب الليــنِ حيناً يظهرُ		وهو حيناً في اتِّضاعٍ يُسْــتَرُ
وهو طَــوراً في ثيابِ المُجبَرِ		وهو طوراً في حجابِ القَدَرِ

وهو حيناً في لبــاسِ التَّرفِ ... يُلبِسُ الصِّحــةَ ثوبَ الدَّنَفِ

ما ســوى القوةِ للصِّدق دَعَمْ ... اعرِفَنْ نفسَكَ، هذا جامُ جَمْ[1]

هي من حقِل الحياةِ الحاصل ... فُسِّــر الحــقُّ بهــا والباطلُ

مُدَّعــاه في غنى عــن حجّةِ ... إنْ تحدَّى المدَّعــي بالقوةِ

تجعــلُ الباطلَ حقَــاً مائلاً ... وَهَنُ الحــقِّ يُحِــقُّ الباطلا

ســطوةُ القوَّةِ تُحلي مــا أَمَرّْ ... إنْ تقلْ للخير شــرٌّ فهو شَرّْ

أيُّهــا الغافــلُ عمَّــا حُمِّــلا ... أنت في الكونَيْن أعلى مَنزِلا

افتحَــنْ عينــاً وأذنــاً وفَما ... تُبْصــرِ الحقَّ طريقــاً مُعلَما

***

(1) جام جم : المقصود جام جمشيد وهي كأس خرافية كانت تُرى فيها الأقاليم السبعة.

قصّة الطائر الذي أجهَدَه العطش

طائــرٌ مــنْ ظمــأٍ قــد جَهِدا   كدخــانٍ نفَسَــاً قــد صَعَّــدا

قدْ رأَى ألماســةً مثــلَ النَّدى   صاغها مــاءً لعينيــه الصَّدى

خَدَعَتْــهُ شــذرةٌ مثلُ الشَّــررْ   فرأى الجاهلُ ماءً في الصَّخَرْ

لم يجــدْ ريّاً بضَــرْبِ المِنقَرِ   لم يُصــبْ ماءً بنقــرِ الجوهرِ

قالتِ الشَّــذرةُ: جُنِّبتَ الهُدى   تضربُ المنقارَ في جسمي سُدى

لســتُ ماءً. لا تراني ســاقيَهْ   ما أنــا من أجلِ غيــري باقيَهْ

جاهلٌ يقصِدُ هضمي ما اهتدى   لحيــاةٍ نورُهــا منهــا بَــدا

كلُّ منقــارٍ بمائــي ينكسِــرْ   وتــرى الإنســانَ منــه ينبهِرْ

مــا رأى الطائــرُ فيهــا أَرَبــا   فتولّــى عــن سَــناها لَغَبــا

حسـرةٌ فـي صـدرِه تتّقـدُ   زفـراتٍ لحنُـهُ يصَّعَّـدُ

***

وأضاءتْ مثـلَ دَمْـعِ البلبلِ   قطـرةٌ في غُصْـنِ وردٍ خَضِلِ

لضيـاءِ الشـمِس فيهـا مِنَّةٌ   ولخوفِ الشـمِس فيها رعدةٌ

كوكبٌ يرعَد مِنْ نَسْـلِ السَّماءْ   شـاقَه الجلوةُ في هذا الفضاءْ

غرَّهُ الأكمامُ والزَّهرُ الخصيبْ   لم يـزوَّدْ من حيـاةٍ بنصيبْ

قطـرةٌ منْ دَمْـعِ صـبٍّ تبهَرُ   زانتِ الهُـدْبَ وكادت تقطِرُ

فمضـى الطائـرُ فيهـا راغبا   بـلَّ بالقطـرِة حَلقـاً لاهِبـا

أيُّهـا الباغـي عـدوّاً تقهـرُ   قطرةٌ أنت، تُـرى، أم جوهرُ؟

حينمـا الطائرُ أضنـاهُ صداهْ   حيّـا نفسـاً بحياةٍ منْ سِـواه

كانت الشَّـذرةُ عضبـاً يُرهَب   لـم تكنْ قطـرةَ طَلٍّ يُشـربُ

قـوةَ الـذَّات احفظَنْهـا أبدا   وكنِ الألمـاسَ لا قطرَ الندى

أنضـجِ القطرَة كالطّـودِ تُرى   حامـلاً غيمـاً مُفيضـاً أَنهُرا

أثبـتِ الـذَّاتَ وفيهـا حَقّقِ   فِضّـةً كُـنْ بالتئـامِ الزّئبـقِ

ومِـن الـذَّات أَبنْ أسـرارَها   حرِّكَنْ عـن لحنِهـا أوتارَها

(في بيان أن حياة المسلم لإعلاء كلمة اللّه)

صبغـــةَ اللـــهِ أَنِرْ فـــي قلبِكا | والهوى والصّيتَ دَعْ في حُبّكا
إنما المســـلمُ بالحـــبِّ قَهَرْ | مســـلمٌ لا حبَّ فيه قـــد كَفَرْ
غَضَّ بالحِـــقّ، وبالحقّ نظَرْ | ولـــه في الحـــقِّ نومٌ وسَـــهَرْ
في رضاهُ لرضا الحـــقِّ فناءْ | كيف يرضى النَّاسُ هذا الادّعاءْ
في رُبى التَّوحيد أرسى العُمُدا | وعلى الناس جميعاً شَـــهِدا
وعليه يشـــهدُ الدَّاعي الأمينْ | شاهدٌ أصدقُ كلّ الشَّاهدينْ
فدعِ القالَ إلى الحالِ الجلِيْ | وأَضِئْ بالحـــقِّ ليلَ العملِ
وكنِ الدرويشَ في زيِّ الأميرْ | ذاكراً للـــهِ يقظـــانَ الضَّميرْ
واقصِدَنَّ الحقَّ في كلِّ الفِعالْ | يسطَعَنْ فيكَ من الحقِّ جلالْ
خيرٌ الحـــربُ إذا رمتَ الإلهْ | شـــرٌّ السِّـــلمُ إذا رُمتَ سواهْ
نحن إن لم يُعلِ حقّاً ســـيفُنا | اِكتسى في الحربِ عاراً صفُّنا

الوقتُ سيف

نضَّر اللــه ترابَ الشَّــافعيّ   سَــحَرَ الألباب هذا الألمعيّ

فِكْــرُهُ قد صــادَ نجماً لامِعاً   حين سمَّى الوقتَ سيفاً قاطعاً

فــاتَ خوفاً ورجــاءً صاحبُهْ   كفُّــه كــفٌّ كليــمٍ، ضاربُهْ

تُغــدقُ الصَّخرةُ مــنْ ضربَتِهْ   ويَغيــضُ البحرُ مــن صوْلتِهْ

كانَ هذا السيَّفُ في كفِّ الكَليمْ   فَشَــأِ التّدبيرَ بالعزمِ الصَّميمْ

شقَّ صدرَ البحرِ لمعُ القبَسِ   صيَّــر القلــزُمَ مثــلَ اليَبَسِ

وبهذا السَّــيفِ يــومَ الخطَرِ   زَلْزَلَــتْ خيبرَ كــفُّ الحيدرِ

***

ممكــنٌ إبصــارُ دورِ الفلَكِ   وتوالــي نُــورِهِ والحلَــكِ

يا أســيرَ اليومِ والأمسِ انظرا   انظرَنْ في القلب كَوناً سُــتِرا

أنتَ في النفسِ بذرتَ الباطِلا   وحســبتَ الوقْتَ خطّاً طائلِا

وذرعتَ الوقتَ، طولاً، للشَّقاءْ بذراعٍ مــنْ صَباحٍ ومســاءْ

وجعلــتَ الخيطَ زُنَّــاراً لكا صِرتَ للأصنام نِــدّاً ويْلَكا!

صِرْتَ يا إكســيرُ تُرباً سافِلا يا وليــدَ الحقّ صِرّتَ الباطِلا

اقطــعِ الزنَّــارَ حــرّاً لا تَهُنْ شمعةً في محفِلِ الأحرار كُنْ

إيهِ يا غافلُ عن أصل الزَّمانْ كيف تدري ما خلودُ الحيوانْ؟

يا أسيرَ الصَّبح والمُسى اعقِلَنْ «لي مع الله» بها الوقتُ اعرفَنْ

كلُّ مــا يظهرُ، منْ تِســياره والحياةُ الســرُّ منْ أســرارِهِ

مــا مِنَ الشَّــمس أراهُ يوجَدُ إنَّهــا تفنــى وهــذا يخلُــدُ

وبهِ الشَّمسُ أضاءتْ والقمَرْ وبه في العيشِ ما ســاءَ وسَرّْ

قد بسطْتَ الوقتَ بسطاً كالمكانْ وفَرَقْتَ اليومَ من أمسِ الزَّمانْ

يا شــذًا قــد فرَّ منْ بســتانِهِ وحبيسَ السّــجنِ منْ بنيانِهِ

وقتُنــا بيــن الحنايا ســافرُ ليــسَ فيــه أوَّلٌ أو آخِــرُ

الحيــاةُ الدَّهرُ يا مَــنْ عَرَفا «لا تسبّوا الدَّهر» قولُ المصطفى

***

نكتةٌ كالـــدُّرِ خُذْهـــا رائقَهْ		بيـــن حُـــرٍّ ورقيـــقٍ فارقَـــهْ:

حيـــرةُ العبـــدِ مسـيرُ الزَّمنِ		حيرةُ الأزمـــانِ قلبُ المؤمنِ

ينســـجُ العبـــدُ عليـــه كفَنا		من صبـــاحٍ ومســـاءٍ مُذْعِنا

وترى الحُرَّ مـــن الطينِ نجا		نفسُـــه حول الليالي نَسَـــجا

قفصُ العبدِ صباحٌ ومســـاءْ		يُحرَم التحليقَ في جوِّ السماءْ

وبصَـــدْرِ الحرِّ ثـــارَ النفَسُ		طائـــرُ الأيّـــامِ فيـــه يُحبَسُ

فطرةُ العبدِ حُصولُ الحاصلِ		ليس في تفكيـــرِهِ مِن طائلِ

في مقـــامٍ منْ همـــودٍ راكدُ		نَوْحُـــه ليلاً وصُبحـــاً واحدُ

ومن الحـــرِّ جديـــدُ الخلقةِ		كلَّ حينٍ، وحديـــثُ النَّغمةِ

قيَّدَ العبـــدَ صباحاً ومســـاءْ		وثوى في فمِـــه لفظُ القضاءْ

وأرى الحـــرَّ مُشـــيراً للقَـــدَرْ		صوَّرتْ كفَّاه أحداثَ الدَّهَر

عندَه الماضي التقى والقابلُ		عاجـــلٌ بيـــن يديـــهِ الآجلُ

***

ضاقَ عن معنايَ حرفٌ وصدَى		عجزَ الإدراكُ في هذا المدى

قلتُ، واللفظُ من المعنى خَجِلْ ... وَشَكا المعنى منَ اللَّفظِ المَحِلْ:

مات معنىً في حروفٍ يُحبَسُ ... نــارَهُ يُخمِدُ منــك النفَسُ

سرُّ غيبٍ وحضورٍ من قلوبْ ... رمزُ وقتٍ ومرورٍ في القلوبْ

إنَّ للوقــتِ لَلَحنــاً صامتــا ... وله فـــي القلب ســرّاً خافِتا

أينَ أيــامٌ بها ســيفُ الدهَرْ ... صرَّفَتْــه في أيادينــا القُدَر!

قد غَرَسْنا الدِّينَ في أرضِ القلوبْ ... وجَلَوْنا الحقَّ من ســترِ الغيوبْ

ومِنَ الدُّنيــا حلَلْنــا العُقَدا ... واســتنارَ التُّربُ منّا سُــجّدا

مِنْ دنانِ الحقِّ صرَّفْنا الرَّحيقْ ... وهَدَمْنا حانــةَ العصرِ العتيقْ

يا مديرَ الرَّاح فـــي أضوائِها ... ومُذيبَ الــكأسِ من لألائِها

من غــرورٍ واختيالٍ تَسْــكَرُ ... ومــن الفقِــر لدينا تَسْــخَرُ!

كأسُنا كانتْ سِراجَ المحفِلِ ... صَدْرُنــا كانَ لقلبٍ مُشــعَلِ

إنَّ هــذا العصرَ مِــنْ آثارِنا ... من عَجاجٍ ثارَ في تســيارِنا

روضةُ الحقِّ ارتوَتْ مِنْ دمِنا ... عَزَّ أهــلُ الحقِّ في الدنيا بنا

كبَّـــر العالَـــمُ مـــن تكبيرِنا   كَعَباتٍ شـــادَ مِـــنْ تعميرنا

«اقـــرأ» الحقُّ لنـــا قَدْ علَّما   بيدينـــا رزقَـــهُ قـــد قسَّـــما

لا تهـــوِّنْ قَـــدْرَ حُـــرّ أَعدَما   أن تَرى التَّاج مضى والخاتما

إن نكنْ عندك أصحابَ الخسارْ   قُدماءَ الفكر أحلافَ الصَّغارْ

فلدينا عـــزَّةٌ مـــنْ «لا إلهْ»   نحن لِلْكَونين حُـــرَّاسٌ أبَاهْ

قَـــدْ تركنـــا غمَّ أمـــسٍ وغدِ   وَوفُيْنـــا لحبيـــبٍ أوْحَـــدِ

نحـــنُ ورَّاثُ هـــداةٍ للبشـــرْ   نحنُ عند الحقِّ ســـرٌّ مدَّخَرْ

لا تزال الشمسُ تُبدي نورَنا   غيمُنـــا فيـــهِ بـــروقٌ وسَـــنا

ذاتُنا المـــرآة للحـــقِّ، اعلَمِ   آيـــةُ الحـــقّ وجودُ المســـلمِ

***

القسم الثاني

رموز نفي الذات

في معنى ارتباط الفرد والأمَّة

رحمــةٌ للفــرد حِجْــرُ الأمَّةِ ... كامــلٌ جوهــرُه فــي الملَّــةِ

فالْزَمَنَّ الجمعَ جهْدَ المستطاعْ ... في ذُرا الأحرارِ كنْ مثلَ الشعاعْ

واحْفَظَنْ ما قاله خيرُ البشرْ: ... كلُّ شــيطانٍ منَ الجمــعِ نَفَرْ

فَــرْدُنــا مرآتُــــه أمّـتُّــهُ ... وكــذا مرآتُهـــا صــورتُــهُ

وهمــا سِــلْكُ نظــامٍ ودُرَرْ ... أو نجــومٌ تتجلَّــى فــي النَّهَرْ

قيمةُ الأفــرادِ جــدوى الملَّةِ ... ومــن الأفــراد نظــمُ الأمَّــةِ

وإذا الواحــدُ فــي الجمعِ نما ... كان كالقطــرة صارت خِضْرِما

جُمِـعَ الماضــي له فــي لبِّهِ		والتقــى الغابــرُ والآتــي بِهِ
صلــةُ الأمِــس تــراه والغَــدِ		وقتُــه لا ينتهــي كالأبــدِ
هــو بالأمَّــةِ قلــبٌ طامــحُ		وهــو بالأمَّــة ســعيٌ رابــحُ
روحُــهُ مــن قومِــهِ، والبدنُ		ســرُّهُ مِــنْ قومِــهِ والعَلَــنُ
بلســانِ القــومِ يشــدو مَنطِقا		وَمِنَ الأســلاف يَقفــو طُرُقا
تُنضِــجُ الفطرةَ فيــه الصُّحبةُ		فتــراه الفــردَ وهــو الأمَّــةُ
تُحكِــمُ الوحدةَ فيــه الكثرةُ		وهي، بالوحــدةِ فيه، وحدةُ
أفــرِدِ اللَّفظَ مــن البيت ترى		جوهرَ المعنى لَديهِ انكسَــرا
تَسْقُطُ الأوراقُ من غصنٍ يَنيعْ		فتُرى محرومــةً وصلَ الرَّبيعْ
طفِئَــتْ أنغــامُ أعــوادٍ غِناءْ		فاتَها مــنْ زمزمِ الأمَّــةِ ماءْ
يُحرَم الفــردُ الوحيدُ المقصِدا		فتــرى نظــمَ قُــواه بَــدَدا
تجمــعُ الأمَّــةُ شــملَ المُنّةِ		فيــه تحبــوه عظيــمَ الهمَّةِ
نَشَّــأتْ بالقيــدِ حــرّاً مطلقا		أثبتتْ في الأرض سَرْواً بَسَقا
ظبْيُــهُ الوثّــابُ مِســكاً يَعبقُ		إنْ حــواهُ مــن نظــامٍ وَهَقُ

أنتَ لم تعرفْ «خودي» من «بيخودي» أنت لا ريبَ من الشكّ رَدِي[1]

إنَّ فــي طينــكَ نــوراً قد بدا بشــعاعٍ منه أبصرتَ الهدى

كلُّ غــمٍّ ورضــاً مــن دورتِهْ أنــت حــيٌّ بتوالــي ثَورتِهْ

أنــت منه أنــت حقــاً، وأنا أنا وهو الفــرد لا يرضى ثُنا

يخلــقُ النَّفسَ ويَــذْرو ويُقِرّْ ذو دلالٍ في خضوعٍ مُســتترْ

يأســرُ الشــعلةَ هــذا الشَّــررُ لهــبٌ مــنْ حــرِّهِ مُســتعِرُ

حــرّةٌ رهــنُ قيــودٍ فطرتُــهْ جزؤُهُ بالــكُلِّ حاطَــتْ قوَّتُهْ

لكفــاحٍ دائــمٍ تنــزُو قُــواهْ هو يُسمَى الذاتَ أو يُسمَى الحياهْ

يســتثيرُ الحــربَ فــي جلوتِهِ حين يُبدي النَّفس منْ خلوتِهِ

يقطــع الجبــرُ عليــه الطرُقا ولــه بالحــبِّ فــرعٌ سَــمَقا

نكتــةٌ خذْهــا بكــفٍّ مِخْدَمِ «وانصرفْ عنّيَ إن لم تَفْهَمِ»

***

(1) خودي: معناها الذاتية، بيخودي: معناها نفي الذاتية. ويعني الشاعر أن الإنسان إن لم يميز مواضع الذاتية من مواضع نفيها اشتبَهَ عليه أمره.

(من أركان الأمّة الإسلامية)
التوحيد

طــوَّفَ العقــلَ بدنيــا العِللِ   قــادَهُ التَّوحيدُ شــطرَ المنزِلِ

أعــوَزَ المنــزلُ هذا الســابلا   زورقُ الفكــرِ أضلَّ الســاحِلا

في «آتيَ الرحمنِ عبداً» مُضمَرُ   رمــزُ توحيــدٍ لقلــبٍ يُبصــرُ

يبتلــي التوحيدُ فيــكَ العَمَلا   فيجلّــي لــك سِــرّاً أُغفِــلا

يُشــرقُ الدِّينُ بــه والحكمةُ   ويُــرى الأيــدُ بــه والمُكنــةُ

قــد تجلَّــى حيــرةً للعالمِينْ   تجلَّى عمــلاً في العاشــقينْ

يرتقــي فــي ظلّــِهِ المتَّضِــعُ   ويصيــر التُّــربُ تِبْراً يَســطعُ

يجتبــي التوحيدُ عبــداً ثابَرا   فيــردُّ العبــدَ خلقــاً آخَــرا

فهو في الحقّ حثيــثٌ دائبُ   دمُــهُ كالبــرقِ فيــه لاهِــبُ

ريبــهُ يَفنَــى ويحيــا العَملُ   عينُه في الكــونِ يَقظى تعمَلُ

في «مقام العبــد» إن تثبتْ قدَمْ جَرَّة السـائلِ تُصبحْ جامَ جَمْ

«لا إله» الــروحُ فــي أمَّتِنا «لا إله» اللَّحــنُ في نغمتنا

«لا إله» الســرُّ في أســرارِنا «لا إله» السِّمْطُ من أفكارِنا

صــار قلبــاً إنْ حواهــا حجرُ كلُّ قلــبٍ لــم تُنِــرْهُ، مَدَرُ

يتلظّــى الكــونُ مــنْ زفرتِها ويضيءُ القلبُ مــنْ وقدتِها

وتُسيلُ القلبَ ماءً في الصدورْ تصهرُ المرآةَ منه في الحَرورْ

شــعلةٌ في روحِنا مثلُ الشَّقيقْ كلُّ ما نمتــارُه منها الحريقْ

بيَّض التَّوحيدُ مُســوَدَّ البَشَــرْ فأبــو بكــرٍ أخــوهُ وعُمَــرْ

ليس إلا القلــبُ قربٌ وابتعادْ وهــذه الكأسُ بها هاجَ الفؤادْ

وحــدةُ القلــبِ قــوامُ الأمَّةِ أشرقتْ سيناءُ من ذي الجلْوَةِ

قد هــدى الأمَّةَ سُــبْلَ العملِ هــذه الفِكْــر بهــا والأمــلِ

نزعــةٌ واحــدةٌ فــي قلبِهــا فعيــارُ الحُسْــنِ والقبــحِ بها

لا يُجيــد الفكــرُ فــي قيثارِهِ دونَ نــارِ الحــقِّ فــي أوتارِهِ

نحن في الإسلامِ أبناءُ الخليلْ من «أبيكم» خذْ إذا شئتَ الدَّليلْ

***

(في معنى أن الخوف والحزن واليأس أمهات الخبائث
وأن التوحيد دواء هذه العلل الخبيثة)

ذلك النُّصحُ ســرى فــي قلبِهِ فغــدا الصِّديــقُ صدِّيقــاً بِهِ

وَنَما المســلمَ مثــلَ الكوكبِ باســمٌ في ســعيِهِ والــدَّأبِ

حــرِّرِ النّفُسَ منَ الغــمّ ودَعْ إن عرفْتَ اللهَ، أغلالَ الطمعْ

قــوةُ الإيمانِ تُحيــي فاعلَمَنْ وِرْدَ «لا خوفٌ عليهم» فاقرأَنْ

قلبُهُ من «لا تخَفْ» قلبٌ سليمْ حين يمضي نحو فرعونٍ كليمْ

خوفُ غيــرِ اللهِ قتــلُ العملِ وهــو للأحيــاء قطعُ السُّــبُلِ

وبــه العــزمُ يخــافُ الغِيَرا وتــرى المِقْدَامَ منــه حَذِرا

مَنْ نما ذا البذرُ يوماً في ثَراهْ حَرَمتْــهُ من تجلِّيهــا الحياهْ

فهو فســلٌ وهو شــادٍ يَعْزِفُ بيدٍ شُــلَّت وقلــبٍ يرجُفُ

يســـرِقُ الرِّجْلَ قُوَى تسيارها | يســـلبُ الرأسَ قوى أفكارِها
إن تجلَّـــى لعـــدوٍّ خوفُـــكا | هانَ كالـــوردِ، عليـــه قطفُكا
ســـيفُه يـــزدادُ فتكاً فـــي اليدِ | عينُـــه فيـــكَ حســـامٌ لا يَدي
غلَّنا الخـــوفُ، وكم في بحرِنا | مـــنْ عُبابٍ مائجٍ فـــي دهرِنا!
إنْ أبَـــى الأذنَ يَثُـــر فيه الغناءْ | ويهـــزَّ اللحـــنُ آفاقَ السَّـــماءْ
كلُّ شـــرٍّ فـــي فـــؤادٍ يُضْمَرُ | أصلُه الخـــوفُ، إذا ما تُبصِرُ
منْ ديار المـــوتِ عينٌ قَدِما | مثل ميـــمِ الموتِ قلبٌ أَظْلَما
عينُـــه تلبيـــسُ آثـــارِ الحياةْ | أذْنـــهُ تدليسُ أخبـــارِ الحياةْ
يزهـــرُ الخِـــبُّ بـــه والمَلِقُ | ونفـــاقُ القلـــبِ منـــه يورقُ

***

ثوبُـــه للـــزُّور ســـترٌ والريَبْ | حِجْرُه الفتنَةُ فيـــه والحرَبْ
حُـــرِمَ الخوفُ طُمـــوحَ الهمَّةِ | هـــو خـــدنٌ لحليـــفِ الذِّلّـــةِ
كلُّ من يفقُدُ ســـرَّ المصطفى | يجدُ الإشراكَ في الخوْفِ اختفى

***

(في بيان أنَّ الأمة لا تنتظم بغير شريعة
وشريعة الأمة المحمَّدية القرآن)

أمَّـــةٌ خلَّـــت يداهـــا السُّـــننا ... ككثيـــبٍ مـــنْ رمـــالٍ وَهَنـــا

ســـيرةُ المُسْلِم شـــرعٌ وكفى ... ذلكُمْ باطنُ ديـــنِ المصطَفى

بانتظامِ الصَّـــوتِ تعلو النَّغمةُ ... وهي مـــن دونِ نظـــامٍ ضجَّةُ

إنَّما في الحـــقِّ مَوجٌ من هَواءْ ... يَعلَـــق النظمُ بـــه فهـــو غِناءْ

صاحِ، هـــل تعلم ما ســـنَّتُكا ... أيّ ســـرٍّ ضَمنـــتْ قدرتُـــكا؟

الكتابُ الحيُّ والذّكرُ الحكيم ... حكمةٌ في الدَّهر تبقى لا تريمْ

إنَّ فيـــه ســـرَّ تكويـــن الحياهْ ... يســـتمدُّ النكسَ أبداً مِنْ قُواهْ

لفظـــهُ لا ريـــبَ أو تبديلَ فيهْ ... آيـــةٌ لا لَبـــس أو تأويـــلَ فيهْ

قـــوةٌ فيـــه تشـــدُّ الخَـــوَرَا ... وبهـــا يرمي الزجـــاجُ الحَجَرا

قطّعَ الأشراكَ عن صيدٍ كسيرْ فدعـا الصَّيَّـادُ منـه بالثُّبورْ

ذا بـلاغٌ آخِـرٌ للمرسـلينْ قد تـلاهْ «رحمـةٌ للعالمينْ»

ترفـعُ الخامـلَ فيـه رفعـةٌ وتقيـمُ الـرأسَ منه سـجدةُ

قاطِعو الطـرْقِ هـداةً صُيّروا من كتابٍ، كم كتابٍ سَـطّروا

والبـوادي مـنْ سـراجٍ زَهَراً قد أضـاؤوا بالعلـومِ الفِكَرا

الـذي يُصـدَعُ مِنْـهُ الجبلُ وعلـى الأفـلاك منـه وَجَلُ

ذلـك الينبـوعُ مـنْ آمالِنـا قدْ حواه الصَّدْرُ مـنْ أطفالِنا

انظُـرِ الظمآنَ في حَـرّ القفارْ عينُه حمـراءُ منْ وَقْـدِ النَّهارْ

عَنْسُـهُ كالظّبي فـي تَعْدائِها دمُهـا كالنَّـارِ فـي رمضائِها

طائفُ الصَّحراء يأبى الجُدُرا ضاربٌ في البيدِ يقلي الحَضَرا

خَفَقَتْ في قلبِهِ هذي السُّـوَرْ فاسـتقرَّ الموجُ فيه كالـدُّرَرْ

قرأَ الدرسَ مـنَ الآيِ المبينْ فغـدا بالحـقّ حـرّاً لا يَمينْ

حَكَـمَ الدُّنيـا جميعـاً عدلُهُ عَـرْشَ جـمّ وطئَتْـهُ رجلُـهُ

مُدُنـاً قـد شـيَّدتْ هَبوتُـهُ ورياضـاً أنْبَتـتْ زهرتُـهُ

***

(في بيان أنَّ كمال سيرة الأمَّة
من اتِّباع الشَّرع الإلهي)

لا تقلْ في الشرع معنًى مَضمرُ   ليسَ إلّا النورَ تحوي الدُّرَرُ

جوهرٌ أبدعَ فيهِ القادرُ   جوهرٌ باطنُهُ والظاهرُ

ليس علمُ الحقّ غيرَ الشِّرْعةِ   ليس غيرَ الحبّ أصلُ السنَّةِ

شرعُنا للفرد مِرقاةُ اليقينْ   ترتقي منه مقاماتُ اليقينْ

شِرعةُ الحقِّ نظامُ الأممِ   ومن النَّظم دوامُ الأممِ

إنَّ فيه الأيدَ يا مَنْ أخلَصا   اليدُ البيضاءُ فيهِ والعصا

قامَ للإسلام بالشَّرعِ قوامْ   بدؤُهُ الشَّرعُ وبالشَّرعِ الختامْ

لكَ أيدِي نكتةِ الشَّرعِ المبينْ   أنتَ مَن في حِكْمةِ الدِّين أمينْ:

إنْ يعارِضْ ذو عنادٍ مسلماً   في أداءِ النَّفلِ ما إنْ لَزِما

صــارَ هذا النفلُ فــرضَ الأمةِ ... فالحيــاةُ الحقُّ عيــنُ القدرةِ

وإذا جيــشُ عــدوٍّ في الوغى ... تركَ الإعــدادَ والسّــلمَ بَغى

وقضــى أوقاتَــهُ فــي الدَّعةِ ... تــاركاً لِلْحَــرْبِ أخــذَ العُدّةِ

فحــرامٌ أخــذُهُ بالبَغْتَــةِ ... قَبْــلَ أن يأخــذَ كلَّ الأُهْبَــةِ

ســرُّ هذا الأمرِ يــا ذا البصَرِ: ... «الحيــاةُ العيشُ بين الخَطرِ»

يتحــدّاك برضــوى العاليَــهْ ... في امتحــانٍ لقِــواكَ العاتيَهْ

ويناديــك أنِ اقصــمْ ظهرَها ... وبحدِّ السيفِ فاصهرْ صخرَها

ليس كــفءَ الليثِ في صولتِه ... حَمَــلٌ يرجــفُ فــي ذلّتِــهِ

***

إنَّ دينَ المصطفى دينُ الحياةْ ... شَــرْعُه للنَّاس قانــونُ الحياةْ

إنْ تكنْ أرضاً يصيّرْكَ السَّماءْ ... ويربّيــك كمــا الحقُّ يشــاءْ

يصقلِ المرآةَ مِنْ صخرٍ شديدْ ... وينقِّي الرَّينَ منْ قلبِ الحديدْ

ضَيَّع القومُ شــعارَ المصطفى ... ضيّعــوا رمــزَ بقــاء عُرفــا

***

(خطابُ إلى المرأةِ المسلمة)

مُشــعَلٌ مصباحُنا مــن نارِكِ عِرضُنا في الصَّون من أستارِكِ

خَلْقُــك الطّاهــرُ فينــا رحمةُ قــويَ الدِّيــنُ بــه والأمّــةُ

طفلُنــا علَّمتِــهِ حيــن الفِطامْ كِلْمةَ التوحيدِ منْ قَبلِ الكلامْ

صِيــغَ مِــنْ حُبّك أطــوارٌ لنا فِعْلُنــا، أقوالُنــا، أفكارُنــا

برقُنــا في سُــحُبٍ منك ثوَى شَعّ في الأطواد، والبيدَ طوَى

ضاءَ دينُ الحقِّ من أنفاسِــكِ ونمــا التوحيدُ فــي أحجارِكِ

ذلــكِ العَصــرُ غــرورٌ ماكــرُ وعلــى الأديــانِ بــاغٍ فاجرُ

عقلُــه أعمــى وباللــه كفَــرْ كم جهولِ في شِــراكٍ قد أسَرْ

عينُــه عيــنُ وقــاحٍ فاتــكِ بِشباكِ الهُدْبِ كم منْ هالكِ!

صيــدُه يحسَــب حرّاً نفسَــهُ مَيْتُــه يزعــمُ قَصــراً رمْسَــهُ

بكِ يخضــرُّ غِــراسُ الوَحدةِ　　　بــكِ ينمــو رأسُ مــالِ المِلَّةِ

لا تســيري غيرَ نهجِ السَّــلَفِ　　　لا تبالــي بجــدًى أو تَلَــفِ

احــذري فتنــةَ عصــرٍ مُهلكِ　　　وإلى صَــدْرِكِ ضمّــي وُلْدَكِ

بَعُــدتْ عن عشِّــها في خطرِ　　　هــذه الأفــراخُ، لمَّــا تَطِــرِ

***

من ديوان

جناح جبريل

نقله من الفرنسية إلى العربية نثراً

....

الأستاذ عبد المعين الملوحي

ثم صاغه بالعربية شعر

....

الأستاذ زهير ظاظا

الفراشةُ واليراع

قال الفراشُ لنفســه لمَّا رأى رَقْصَ اليَراع على المِدَادِ الأسودِ:

كمْ في حياتِك من غبيٍّ أحمقِ ما ذاقَ تصليةً بنــارِ المَوْقِدِ

ســمعَ اليَراعُ كلامَه فأجابَهُ: حاشا لأمثالي بمثلِك تقتدي

حمداً لربِّي ما خُلِقْتُ فراشةً بجناحها وســمُ العبيد الرُّقَّدِ

أنا لستُ أســتجدي سوايَ تسوُّلاً أنا في فؤادي جُذوتي وتَوَقُّدي

***

المُلاَّ والفردوس

أنـــا أيضـــاً كنـــتُ لكـــنْ ما تحملَّـــتُ السُّـــكوتْ
كنـــتُ مِـــنْ شـــدَّةِ غيظـــي أتـــمـــنَّـــى أنْ أمـــــوتْ
كنـــتُ إذا ابَشَّـــرتِ الحُـــــــجّـــــابُ بالفـــردوسِ (مُـــلّا)
فتـقـدَّمــــتُ أنـــــــادي: عــفـــوكَ اللهمَّ كـــــلاَّ
لـيـــس للمُـــلّا اهـتـمــــــامٌ بمـغـانـيـــك وحـــــورِكْ
هو ســـكرانُ، نعـــم سكــــــــــرانُ، مـــن غير خِمــــــورِكْ
مـــا درى مـــن لُجَّـــة الـــذَّوقِ ســـوى قيـــلٍ وقـــالْ
يَحْسَـــبُ الدِّيـــن الـــذي أنـــزلتَ تاريــــخَ جــدال
أنــــا لا أرضـــــى لنفـــسي أن أرى عـبـــدي جبانــــا
كيـــفَ ترضـــــاهُ زعـيمـــاً وهـــو لا يُحسِـــنُ شـــانا؟
لـــم يَعُـــدْ يـــأبـــهُ إنســـانٌ بـ(مُـــــلّاكَ) المنفّـــرْ
فـــإذا مـــا جـــاء يـــومـــاً قـــيـــلَ قـــد جـــاءَ المكفِّرْ

لا يـــرى في خَلْقِــكَ الـمســـــــــكـــين إلّاهُ مُـطـيعـــا

ليـــس فـــي الفــردوسِ ذكرٌ   لكـــهـــوفٍ وصـوامِـــعْ

إنَّما الفردوسُ فيضُ الـــــــــــــحـبِّ من صَـــدْرِ الجـوامــعْ

***

الأرض للّه

الحَبُّ ذو العَصْفِ والرَّيحان يُنْبـتُـهُ   من ظلمة الطِّين ربُّ الحبِّ والطينِ

والغَيْمُ من لُجَجِ الأمواجِ يَرْفَعُهُ   إلى السَّموات سلطانُ السَّلاطينِ

يســوقُ للزَّهر أنســاماً تهيِّجُها   فيطلقُ الزَّهرُ أنغامَ البســاتينِ

للشَّــمسِ من نورِه طوقٌ يزيِّنها   وللنَّدى نسَبٌ من حُورِهِ العينِ

فقلْ لصاحبِ تــاجٍ يدَّعيه له :   أفِقْ فإنَّك مســكينُ المساكينِ

مالي ومالَكَ من هذا التُّرابِ ســوى   ضجيجٍ حين نُولِّي عنه في حَيْنِ

الأرضُ للــه يعطيهــا أحبَّتَــهُ   والحُبُّ عاقِبَةُ الغــرِّ الميامينِ

***

الأذان

قـــــال نـجـمُ الصُّبح للأفـْـــــــلاكِ يــومــاً لاحِــــيـا:

أَحَـــــــدٌ منكـــــم رأى آ دمَ يـــومـــاً صـاحـيـــا

ســـخَّـــر المريــخَ ممَّا قـالـــه نجـــمُ الصَّبـــاحِ

قـــال: هـــل ينفــعُ شـيئاً صاحـــياً أو غيـر صـاحِ؟

تـــدركُ الأقـــــدار ما تـفـــــــعـــــلُ في هذا الظّـــلامْ

وأرى الخـــيـــرَ لـــــدوّا مـتِـــهِ فـــي أنْ تنـــــامْ

قالـــت الزَّهـــــرةُ: أفٍّ غيّـــروا الموضـــوع هــذا

نُنْفِــقُ الليلـــةَ فـــي البــا طـــلِ واللغـــــوِ لمــاذا؟

فيــمَ نهـتـــمُّ لهــــذي الــــذَّرَّةِ العـميــاءِ قولوا؟

فأجــاب البدر: هــذا الـنــــــــــــجمُ فــي الأرضِ يصولُ

نحـــنُ فـــي الظَّلمـــة نبــدو وهـــو يبــدو فـــي النَّهــارِ

روحُـــه ســــــــرُّ الليالـــي قلـــبـُـــه قَـطْـــبُ المــدارِ

***

وهــو لــو أدركَ معنــى سـهــرِ اللـــيلِ وذاقَــهْ

جـــازَ أطـــباقَ الثُّـــريـا وأَرى اللـــهَ طـــباقَـــهْ

إنَّـــــه فـــي صَــــــدْرِهِ يســــترُ نـــــوراً باهـــرا

وهــو إذ أطــلــقَـــهُ لــم يبقِ نجـمـــاً ســـاهـــرا

فَـعَـــلا صــــــوتُ أذانِ بينمــا هُــمْ فــي جِــدالِ

يا لـهـــا صـــرخةُ وعـــظٍ صدَّعــتُ قلــبَ الجبــالِ!

***

شكوى الشَّيطان

قـــال إبليـــسُ الرَّجيـــمُ يشـــتكي اللـــهَ تعالـــى:

مـــا لِنَجْـــلِ الطِّيـــنِ هـــذا فـــوقَ نـــاري يتعالـــى؟

هُـــوَ ذا آدمُ بعـــدي هُـــو ذا كـــومُ التُّـــرابِ

واهـــنُ الـــرُّوحِ كبيـــرُ الــــ كِـــرْشِ موفـــورُ الثِّيـــابِ

عقلُـــه فـــي الأوجِ لكـــنْ قلبُـــه يَلْفِـــظُ روحَـــهْ

ما لقلبي غيركَ اللَّـــــــــهـــــــــمّ لو تأسو جروحَهْ

كلّما يجعلُ منه الــــــشَّـــــــــــرقُ معيارَ النجاسَهْ

لا تبالي حكماءُ الــــــــــــــــــغـــربِ أنْ ترفع راسَهْ

حـــورُ فردوسِـــكَ تخشـــى عالـــمُ الفِـــرْدَوْسِ يُقْفِـــرْ

جئتك اللهمّ بالحــــــجّــــــــــــة كي ترضى وتغفرْ

فسَّـــرَ الغـــــربُ الدِّيموقرا طـــيُّ ترْكـــــي لِسُـــجودِي

لم يعدْ من بعـــــدِهِ في الأ رْضِ مـــعـــــنىً لوجـــودي

***

النّسرُ والنَّملة

قالـــت النَّملة للنِّســـر الذي مـــرَّ يوماً ما على وادي النَّملْ:
أنت ترعى في بساتينِ النُّجومْ وأنا في شـــقوِة العيشِ المُذِلّْ
قال: لكنْ أنا لا أبحثُ عنْ مُؤَني مثلك في هـــذا التُّرابْ
لســـتُ ألقي نظرةً حتَّى ولا للسمواتِ التي فوق السَّحابْ

***

من ديوان
والآن ... ماذا نصنع؟ يا أمم الشرق

نقله إلى العربية

الأستاذ أحمد الغاندي

وصاغه بالعربية شعراً

الشيخ صاوي شعلان المصري

إلى الأمة العربية

شعب العُروبةِ والمَجْد المُؤَثّل في بدوٍ وفي حَضَرٍ حتَّى ضُحى المحشرِ

مَــنِ الذي حــرَّرَ الدُّنيــا لخالقها وأسْمعَ الخَلْق لا كِسْرَى ولا قَيْصَــر؟

مَــنْ قبلكُم أبلــغَ الآيــاتِ ناطقةً بوحيِ مَنْ خلَقَ الدّنيا وسوَّاهــا؟

مــنْ غيرُكم رَفَعَ المِصْبــاحَ مؤتلقاً وَوَحَّدَ الخَلْــقَ لمَّا وَحَّدَ اللهَ؟

لم يَطْعَم النَّــاسُ إلّا في موائدكم عِلمــاً شَهّــياً وتَهْذيبــاً وعِرْفانــا

في شأْنكم أرسلَ اللهُ الكتابَ فأصبحتُم بنعمته في الخَيْرِ إخوانا

منْ حوَّل البيدَ روضاً والحَصى دُرراً وأنبتَ الوَرْدَ في الصَّحراء لِلْعَرَبِ؟

أســتغفرُ اللــه مــا غَيْرُ النبــيِّ بها أغْــنَــتْ مكارمُه فيها عَنِ السُّحُبِ

فكلُّ معبودٍ قديمٍ في الشــعوب هوى بعزمــه ســاجداً للــه إكبارا

وكلُّ غصنٍ هشــيمٍ مــن نداه غدا يُجَدِّدُ الحُســنَ أوراقــاً ونوَّارا

واهاً لهــا جذباتٍ طالمــا حَفَزَتْ منَّا الخُطا وأثــارت للعلا هِمَما

قد أبدَلَتْنا الليالي من ســعادتها يأســاً مريــراً ومــنْ أنوارِهــا ظُلَما

كلُّ الشعوب أعدَّت منْ مواردها حِصْنَ الرَّخاء وصـــارتْ للمُنى قَدَما

وملء صحرائكم -لو تعلمون- غنًى وثـــورةٌ وكنـــوزٌ تُغْـــدِقُ النِّعمـــا

كيفَ انقضى حفْلكم وانفضَّ سامِرُكم وكان بالأمـــس مِثْلَ العَقْـــدِ مُنتظِما

توَحَّـــدَت من قديـــمِ الدَّهر أمَّتُكم ما بالُها انقسمتْ في أرضِكم أُمَمَا؟

قَدْ خادَعَتْكُم من المســـتعمرين يدٌ سُمُّ العقاربِ في أكمامِها استَتَرا

كمْ أهْدَروا مِنْ شعوبِ آدَمِيَّتَهَا! كمْ أيقظوا فتناً، كمْ أفســـدوا فِطَرا!

تَوَارَثَ العَرَبُ الأحرارُ وَحْدَتَهُم مدى عصورٍ وأجيالٍ وأزمانِ

حتى إذا جاء الاستعمارُ قسَّمَها إلى شـــعوبٍ وأقوامٍ وأوطانِ

اضْرِب خيامَك في دنيا وُجودِك لا تَقِفْ بها عند رَسْمِ الدَّار والدِّمَنِ

وادفعْ بناقَتِك الميدانَ أسْبَق منْ ريحِ الصَّحـــاري وأنْقِذْ وَحْدَة الوَطَنِ

يـــا أيُّها العربِيُّ انظـــرْ لعصرِك في دنيا يفوزُ بها منْ أحْكَمَ النَّظرا

بالسِّلْمِ بالعَدْلِ تبني ما تُؤَمِّله إنْ شِئْتَ للأرضِ عُمْراناً فَكُنْ عُمَرا

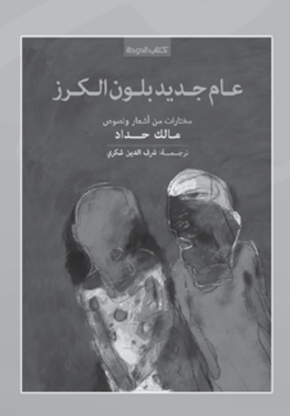
صدر في سلسلة كتاب الدوحة

1	طبائع الاستبداد	عبد الرحمن الكواكبي
2	برقوق نيسان	غسان كنفاني
3	الأئمة الأربعة	سليمان فياض
4	الفصول الأربعة	عمر فاخوري
5	الإسلام وأصول الحكم - بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام	علي عبدالرازق
6	شروط النهضة	مالك بن نبيّ
7	صلاح جاهين - أمير شعراء العامية	محمد بغدادي
8	نداء الحياة - مختارات شعرية - الخيال الشعري عند العرب	أبو القاسم الشابي
9	حرية الفكر وأبطالها في التاريخ	سلامة موسى
10	الغربال	ميخائيل نعيمة
11	الإسلام بين العلم والمدنية	الشيخ محمد عبده
12	أصوات الشاعر المترجم - مختارات من قصائده وترجماته	بدر شاكر السياب
	• فتنة الحكاية جون أبديك - سينثيا أوزيك - جيل ماكوركل - باتريشيا هامبل	ترجمة: غادة حلواني
13	امرأتنا في الشريعة والمجتمع	الطاهر الحداد
14	الشيخان	طه حسين
15	ورد أكثر - مختارات شعرية ونثرية	محمود درويش
16	يوميات نائب في الأرياف	توفيق الحكيم
17	عبقرية عمر	عباس محمود العقاد
18	عبقرية الصدّيق	عباس محمود العقاد
19	رحلتان إلى اليابان	علي أحمد الجرجاوي/صبري حافظ
20	لطائف السمر في سكان الزُّهرة والقمر أو (الغاية في البداءة والنهاية)	ميخائيل الصقال
21	ثورة الأدب	د. محمد حسين هيكل
22	في مديح الحدود	ريجيس دوبريه
23	الكتابات السياسية	الإمام محمد عبده
24	نحو فكر مغاير	عبد الكبير الخطيبي
25	تاريخ علم الأدب	روحي الخالدي
26	عبقرية خالد	عباس محمود العقاد
27	أصوات الضمير	خمسون قصيدة من الشعر العالمي
28	مرايا يحيى حقي	يحيى حقي
29	عبقرية محمد	عباس محمود العقاد
30	عبدالله العروي من التاريخ إلى الحب	حوار أجراه محمد الداهي
31	فتاوى كبار الكتّاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية	
32	عام جديد بلون الكرز (مختارات من أشعار ونصوص مالك حداد)	ترجمة: شرف الدين شكري
33	سِراج الرُّعاة (حوارات مع كُتاب عالميّين)	خالد النجار
34	مقالة في العبودية المختارة (إيتيان دي لابويسيه)	ترجمة: مصطفى صفوان
35	عن سيرتَي ابن بطوطة وابن خلدون	د.بنسالم حِمّيش
36	حي بن يقظان - تحقيق: أحمد أمين	ابن طفيل
37	الإصبع الصغيرة - ترجمة: د.عبدالرحمن بوعلي	ميشال سار

صدر في سلسلة كتاب الدوحة













يمكنكم تصفح النسخة الإلكترونية من كافة إصدارات السلسلة
على موقع مجلة الدوحة الإلكتروني www.aldohamagazine.com